﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ[(1)] فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

شرح الكلمات :

تلك الرسل : أولئك الرسل الذين قص الله تعالى على رسوله بعضاً منهم وأخبره أنه منهم في قوله ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ في الآية قبل هذه.

من كَلَّم الله : كموسى عليه السلام.

ورفع بعضهم درجات : وهو محمد ﷺ[(2)] حيث فضله تفضيلاً على سائر الرسل.

البينات : المعجزات الدالة على صدق عيسى في نبوته ورسالته.

روح القدس : جبريل عليه السلام كان يقف دائماً إلى جانب عيسى يسدده ويقويه إلى أن رفعه الله تعالى إليه.

اقتتلوا : قتل بعضهم بعضا.

أنفقوا مما رزقناكم : النفقة الواجبة وهي الزكاة، ونفقة التطوع المستحبة.

---

(١) روى احمد عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ قائلا : أي الأنبياء كان أول؟ قال «آدم قلت رسول ونبي كان؟ قال نعم نبيٌّ مكلَّم قلت يارسول الله كم المرسلون؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً».

(٢) شاهده قوله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ومع هذا زيادة في كماله قال : «لا تفضلوني على موسى». وقال على يونس بن متى : «فصلى الله عليه ما أرفع مقامه».

لا بيع فيه[1]	: لا يشتري أحد نفسه بمال يدفعه فداءً لنفسه من العذاب.
ولا خُلــة	: أي صداقة تنفع صاحبها.
ولا شَـفاعــة	: تقبل إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.
والكافـرون .	: بمنع الزكاة والحقوق الواجبة لله تعالى ولعباده هم الظالمون.

معنى الآيتيـن :

بعد أن قص الله تبارك وتعالى على رسوله قصة ملأ بني إسرائيل في طلبهم نبيهم شمويل بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد، وكانت القصة تحمل في ثناياها أحداثا من غير الممكن أن يعلمها أميّ مثل محمد ﷺ بدون ما يتلقّاها وحياً يوحيه الله تعالى إليه وختم القصة بتقرير نبوته ورسالته بقوله: ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ أخبر تعالى أن أولئك الرسل فضل بعضهم على بعض، منهم من فضله بتكليمه كموسى عليه السلام ومنهم من فضله بالخلّة كإبراهيم عليه السلام ومنهم من رفعه إليه وأدناه وناجاه وهو محمد ﷺ ومنهم من آتاه الملك والحكمة[2] وعلمه صنعة الدروع كداود عليه السلام، ومنهم من آتاه الملك والحكمة وسخر له الجن وعلمه منطق الطير كسليمان عليه السلام، ومنهم من آتاه البينات وأيده بروح القدس وهو عيسى عليه السلام. فقال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض[3]، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ كنبينا محمد ﷺ إذ فضله بعموم رسالته وبختم النبوات بنبوته، وبتفضيل أمته، وبإدخاله الجنة في حياته قبل مماته وبتكليمه ومناجاته مع ما خصه من الشفاعة يوم القيامة. ثم أخبر تعالى أنه لو يشاء هداية الناس لهداهم فلم يختلفوا بعد رسلهم ولم يقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات وذلك لعظيم قدرته، وحرّية إرادته فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. هذا بعض ما أفادته الآية الأولى (٢٥٣) أما الآية الثانية (٢٥٤) فقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين وأمرهم بالانفاق في سبيل الله تقرّباً إليه وتزوداً للقائه قبل يوم القيامة حيث لا

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة﴾ بالنصب من غير تنوين. وأنشد حسان وهو شاهد هذه القراءة:

الا طعان ولا فرسان عادية   الا تجشؤكم عند التنانير

يهجو ناساً فيصفهم بالقعود عن القتال وملازمة التنور للطعام.

(٢) الحكمة هنا هي النبوة كما تقدم عن ابن كثير في «نهر الخير».

(٣) هل يجوز للمسلم أن يقول مثلا موسى أفضل من هارون أو إبراهيم أفضل من عيسى مثلا؟ الجواب لا لقوله ﷺ «لا تخيّروا بين الأنبياء ولا تفضلوا بين أنبياء الله» أي لا تقولوا فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان إذ نحن لا نقدر على التفضيل وإنما يقدر عليه الله وحده إذ هو الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

فداء ببيع وشراء، ولا صداقة تجدي ولا شفاعة تنفع، والكافرون بنعم الله وشرائعه هم الظالمون المستوجبون للعذاب والحرمان والخسران.[1]

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ تفاضل الرسل فيما بينهم بحسب جهادهم وصبرهم وما أهلهم الله تعالى له من الكمال.

٢ـ صفة الكلام لله تعالى حيث كـلّم موسى في الطور، وكلم محمداً في الملكوت الأعلى.

٣ـ الكفر والإيمان والهداية والضلال، والحرب والسلم كل ذلك تبع لمشيئته تعالى وحكمته.

٤ـ ذم الاختلاف في الدين وأنه مصدر شقاء وعذاب.

٥ـ وجوب الانفاق في سبيل الله مما رزق الله تعالى عبده.

٦ـ التحذير من الغفلة والأخذ بأسباب النجاة يوم القيامة حيث لا فداء ولا خلّة تنفع ولا شفاعة ومن أقوى الأسباب الإيمان والعمل الصالح وإنفاق المال تقرباً إلى الله تعالى في الجهاد وغيره.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ[2] ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

---

(١) قال القرطبي عند هذه الآية: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أي فكافحوهم بالقتال بالأنفس وانفاق المال قال: وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال: الكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون.

(٢) صحّ أنّ النبي ﷺ قال: «يا أبا المنذر ـ أبي بن كعب ـ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم. فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر» وروى أحمد أن آية الكرسي تعدل ربع القرآن وأنّ الزلزلة والكافرون والنصر كل واحدة تعدل ربع القرآن وأنّ الصمد تعدل ثلث القرآن».

شـرح الكلـمات :

اللـــــه : عَلَـمٌ على ذات الرب تبارك وتعالى.

لا إله إلا هو : الإله المعبود، ولا معبود بحق إلا الله، إذ هو الخالق الرزاق المدبر بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء، وما عداه من الآلهة فعبادتها بدون حق فهي باطلة.

الحــــيّ[١] : ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالى وهي مستلزمة للقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام.

القيـــوم[٢] : القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليّه، القائم على كل نفس بما كسبت.

السِّــــنة : النعاس يسبق النوم.

كرســــيّه : الكرسي: موضع القدمين، ولا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

يـــــؤوده : يثقـله ويشق عليه.

معنى الآية الكريمة :

لما أخبر تعالى عن يوم القيامة وأنه يوم لا بيع فيه ولا شفاعة وأن الكافرين هم الظالمون، أخبر عن جلاله وكماله وعظيم سلطانه وأنه هو المعبود بحق وأن عبادته هي التي تنجي من أهوال يوم القيامة فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾[٣]: أي أنه الله المعبود بحق ولا معبود بحق سواه. ﴿الحي القيوم﴾ الدائم الحياة التي لم تسبق بموت ولم يطرأ عليها موت. القيوم: العظيم القيّوميّة على كل شيء، لولا قيّوميّته على الخلائق ما استقام من أمر العوالم شيء: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[٤]: إذ النعاس والنوم من صفات النقص وهو تعالى ذو الكمال المطلق. وهذه الجملة برهان على الجملة قبلها، إذ من ينعس وينام لا يتأتى له القيومية على

---

(١) الحي: أصلها الحيي كالحِذر فحذفت كسرة الياء الأولى فسكنت وأدغمت في الثانية فصارت الحي والقيوم أصلها القيووم فقلبت الواو الأولى ياءً وادغمت في الياء فصارت القيوم.

(٢) روى الترمذي وقال حديث حسن صحيح: «إن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ و﴿ألم الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ إن فيهما اسم الله الأعظم». ورواه أبو داود أيضاً.

(٣) هذه آية الكرسي قال فيها رسول الله ﷺ: «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ أن يموت» رواه النسائي وغيره.

(٤) ورد في الصحيح عن أبي موسى قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

الخلائق ولا يسعها حفظاً ورزقاً وتدبيراً. ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾: خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾: ينفي تعالى وهو الذي له ما في السموات وما في الأرض ينفي أن يشفع عنده في الدنيا أو في الآخرة أحد كائن من كان بدون أن يأذن له في الشفـاعـة. ﴿يعلم ما بين أيديهم ومـا خلفهم﴾[1]: لكمال عجزهم. ﴿وسع كرسيه[2] السموات والأرض﴾: لكمال ذاته. ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾: ولا يثقله أو يشق عليه حفظ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما. ﴿وهو العلي العظيم﴾: العلي الذي ليس فوقه شيء والقاهر الذي لا يغلبه شيء، العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير.

هداية الآية الكريمة

من هداية هذه الآية:

١ـ أنها أعظم آية في كتاب الله تعالى اشتملت على ثمانية عشر إسماً لله تعالى ما بين ظاهر ومضمر، وكلماتها خمسون كلمة وجملها عشر جمل كلها ناطقة بربوبيته تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه.

٢ـ تستحب قراءتها بعد الصلاة المكتوبة، وعند النوم، وفي البيوت لطرد الشيطان.

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

---

(١) هذا كناية عن إحاطة علم الله بكل شيء إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو بكل شيء عليم وأما الخلق فإنهم لا يعلمون إلا ما شاء أن يعلمهم إيّاه.

(٢) أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره» رواه الحاكم موقوفاً وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

شـرح الكلـمات :

لا إكراه في الدين : لا يكره المرء على الدخول في الدين[1]، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره.

الرشـــد[2] : الهدى الموصل إلى الإسعاد والإكمال.

الــغــي : الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران.

الطاغــوت[3] : كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما.

العروة الوثقى[4] : لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لا انفصام لها : لا تنفك ولا تنحل بحال من الأحوال.

الله وليّ الذين آمنوا: مُتوليهم بحفظه ونصره وتوفيقه.

الظلمـــات : ظلمات الجهل والكـفـر.

النـــور : نور الإيمان والعلم.

أولياؤهم الطاغوت : المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان فأخرجوهم من الإيمان إلى الكفر ومن العلم إلى الجهل.

معنى الآيتيـن :

يخبر الله تعالى بعد ذكر صفات جلاله وكماله في آية الكرسي أنه لا إكراه في دينه، وذلك حين أراد بعض الأنصار إكراه من تهوّد أو تنصّر من أولادهم على الدخول في دين الإسلام، ولذا فإن أهل الكتابين ومن شابههم تؤخذ منهم الجزية ويقرون على دينهم فلا يخرجون منه إلا باختيارهم وإرادتهم الحرة، أما الوثنيّون والذين لا دين لهم سوى الشرك والكفر فيقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام انقاذاً لهم من الجهل والكفر وما لازمهم من الضلال والشقاء.

ثم أخبر تعالى أنه بإنزال كتابه وبعثه رسوله ونصر أوليائه قد تبين الهدى من الضلال والحق من الباطل، وعليه فمن يكفر بالطاغوت وهو الشيطان الذي زين عبادة الأصنام ويؤمن بالله فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد استمسك[5] من الدين بأمتن عروة وأوثقها، ومن يصرّ على الكفر بالله والإيمان بالطاغوت فقد تمسك بأوهى من خيط العنكبوت. و الله

---

(١) الإكراه: الحمل على فعل المكروه، والدين هنا: الإسلام وجملة (لا إكراه) خبر بمعنى الإنشاء.

(٢) يقال رَشد يَرشُد رُشداً، ورشد يرشِد رَشَداً، إذا اهتدى واستقام، وغوى ضده، والغي مصدر من غوى يغوي إذ ضل في معتقد أو رأي.

(٣) كان العرب في الجاهلية يسمون الصنم المعبود الطاغية، وفي الحديث: «كانوا يهلون لمناة الطاغية».

(٤) الوثقى: مؤنث الأوثق وجمع الوثقى الوُثق مثل: الفضلى والفضل.

(٥) السين والتاء في (استمسك) للتأكيد كما في استجاب بمعنى أجاب.

سميع لأقوال عباده عليم بنياتهم وخفيات أعمالهم وسيجزي كلاً بكسبه. ثم أخبر تعالى أنه ولي عباده المؤمنين فهو يخرجهم من ظلمات[1] الكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان فَيَكْمُلُون وَيَسْعَدُون، وأن الكافرين أولياؤهم الطاغوت من شياطين الجن والإنس الذين حسنوا لهم الباطل والشرور وزيّنوا لهم الكفر والفسوق والعصيان، فأخرجوهم بذلك من النور إلى الظلمات فأهّلوهم لدخول النار فكانوا أصحابها الخالدين فيها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- لا يُكره أهل الكتابين ومن في حُكمهم كالمجوس والصابئة على الدخول[2] في الإسلام إلا باختيارهم وتقبل منهم الجزية فيُقَرُّون على دينهم.

٢- الإسلام[3] كلّه رشد، وما عداه ضلال وباطل.

٣- التخلي عن الرّذائل مقدّم على التحلي بالفضائل.

٤- معنى لا إله إلا الله، وهي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.

٥- ولاية الله تعالى تُنَال بالإيمان والتقوى.

٦- نُصْرة الله تعالى ورعايته لأوليائه دون أعدائه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

---

(١) وحّد تعالى لفظ النور وجمع لفظ الظلمة، لأنّ الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة.

(٢) هل هذه الآية: ﴿لا إكراه في الدين﴾ منسوخة بآية السيف؟ الراجح أنها محكمة غير منسوخة هل تؤخذ الجزية من غير أهل الكتاب ومن لهم شبهة كتاب؟ أما كفار قريش، الإجماع على أن لا تؤخذ منهم الجزية. ومن عداهم مذهب مالك يرى أخذ الجزية منهم والإبقاء عليهم ولعلّ هذا إن دعت الضرورة إلى ذلك، وما ذكرته في التفسير أصح المذاهب وأعدلها.

(٣) جاء في صحيح البخاري ما ملخصه: أن عبدالله بن سلام رأى رؤيا كأنه في دوحة خضراء وفي وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة. . الحديث وفسر له النبي ﷺ: الروضة بالإسلام، والعمود عمود الإسلام، والعروة هي العروة الوثقى أي أنت على الإسلام حتى تموت. فكان مبشراً بالجنة رضي الله عنه.

شرح الكلمات :

ألم تر : ألم ينته إلى علمك يا رسولنا، والاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحاج لإبراهيم.

حاج : جادل وماري وخاصم.

في ربّه : في شأن ربه من وجوده تعالى وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم.

آتاه الله الملك[1] : أعطاه الحكم والسيادة على أهل بلاده وديار قومه.

إبراهيم : هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان هذا الحِجاج قبل هجرة إبراهيم إلى أرض الشام.

فبُهِتَ الذي كفر : انقطع عن الحجّة متحيّراً مدهوشاً ذاك الطاغية الكافر وهو النمرود البابلي.

معنى الآية الكريمة :

لما ذكر الله تعالى ولايته لأوليائه وأنه مؤيدهم وناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر مثالاً لذلك وهو محاجة النمرود[2] البابلي لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي ألم ينته إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحاناً له فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فبينا إنه لأمر عجب. إذ قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت فقال أنا أحيي[3] وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلا: ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب فاندهش وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر[4]، فهذا مثال لإخراج الله تعالى أولياءه من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

---

(١) إذ هو ملك بابل وقيل إنّه أحد الأربعة الذين ملكوا المعمورة وهم مسلمان، وكافران، فالمسلمان سليمان، وذو القرنين عليهما السلام والكافران: النمرود، وبختنصر عليهما لعائن الرحمن.

(٢) يقال له النمرود بن كوثن بن كنعان بن سام بن نوح عليه السلام، وفي الآية دليل على جواز إطلاق اسم الملك على الحاكم الكافر ولمّا حارب الله تعالى أهلكه مع جيشه بالبعوض إذا فتح الله عليهم بابا من البعوض فأكلت الجيش فلم تتركه إلّا عظاما وأمّا النمرود فقد دخلت بعوضة في دماغه فصار يضرب على دماغه حتى هلك بذلك.

(٣) يريد أنّه يحيى من أراد حياته ويميت من أراد موته وهذا مجرّد تمويه وسفسطة فلذا عدل إبراهيم عنها وألزمه الحجة إن كان صادقا في دعواه بالإتيان بالشمس من المغرب كما يأتي بها الله من المشرق.

(٤) يذكر أهل التفسير هنا أن ابراهيم ذهب يمتار من عند الملك كغيره فجادله الملك ومنعه الميرة فعاد بلاشيء وفي اثناء طريقه وجد رملا أحمر فملأ منه غرارتين حتى لا يفاجىء أهله بالخيبة ولمّا وصل ونام قامت زوجته سارة ففتحت الغرارة فوجدتها دقيقاً من أجود الدقيق الحُوَّارى.

هدايـة الآية

من هداية الآيـة :

١ـ النعم تبطر صاحبها إذا حرم ولاية الله تعالى .

٢ـ نصرة الله لأوليائه وإلهامهم الحجة لخصم أعدائهم .

٣ـ إذا ظلم العبد ووالى الظلم حتى أصبح وصفاً له يحرم هداية الله تعالى فلا يهتدي أبداً .

٤ـ جواز المجادلة و المناظرة في إثبات العقيدة الصحيحة السليمة .

أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

شـرح الكلمـات :

قـــريـة[١] : مدينة لم يذكر الله تعالى اسمها فلا يبحث عنها لعدم جدوى معرفتها .

خـــاويـة : فارغة من سكانها ساقطة عروشها[٢] على مبانيها وجدرانها .

أنـــى يحيي : كيـف يحيـي[٣] .

---

(١) سميت القرية قرية : لاجتماع الناس فيها ، مأخوذ من قريت الماء إذا جمعته ، وهي في القرآن ، المدينة الكبيرة ، والمراد بها هنا بيت المقدس ، وقد خرّبها الطاغية بختنصر ثمّ بعد سبعين سنة أعيد بناؤها كما كانت .

(٢) العريش : سقف البيت وجمعه عروش وهو كل ما يهيأ ليظل او يكن من ينزل تحته ، ومنه عريش الدالية أي شجرة العنب إذ يعرش لها عريش تمد عليه أغصانها لتتدلى منه عناقيدها .

(٣) اختلف فيمن هو المار على القرية هل هو عزير أو إرميا أو الخضر ، وأرجح الأقوال أنّه عزير ، وما دام الله ورسوله لم يذكرا اسمه فلا داعي إلى ذكره ، والتعرف إليه ولذا لم أذكره في التفسير .

بعد موتهــا : بعد خوائها وسقوطها على عروشـها

لبثــــــت : مكثت وأقمت.

لم يتســـنه[1] : لم يتغير بمر السنين عليه.

آيـــــــة : علامة على قدرة الله على بعث الناس أحياء يوم القيامة.

ننشــــزهـا : في قراءة ورش ننشرها بمعنى نحييها بعد موتها. وننشزها نرفعها ونجمعها لتكون حماراً كما كانت.

معنى الآيــة :

هذا مثل آخر معطوف على الأول الذي تجلت فيه على حقيقتها ولاية الله لإبراهيم حيث أيده بالحجة القاطعة ونصره على عدوه النمرود قال تعالى: ﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية﴾ فارغـة من سكانها ساقطة سقوفها على مبانيها فقال المارّ بها مُستبعداً حياتها مرة ثانية: كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه، وسأله: كم لبثت؟ قال: حسب عادة من نام في يوم واستيقظ فيه فإنه يرى أنه نام يوماً أو بعض يوم. فأجابه مُصَوِّباً له فهمه: بل لبثت مائة عام، ولكي تقتنع بما أخبرت به فانظر إلى طعامك وكان سلة من تين،وشرابك وكان عصيراً من عنب فإنه لم يتغير طعمه ولا لونه وقد مر عليه قرن من الزمن، وانظر إلى حمارك فإنه هلك بمرور الزمن ولم يبق منه إلا عظامه تلوح بيضاء فهـذا دليل قاطع على موته وفنائه لمرور مائة سنة عليه، وانظر إلى العظام كيف نجمعها ونكسوها لحمًا فإذا هي حمارك الذي كنت تركبه من مائة سنة ونمت وتركته إلى جانبك يرتع، وتجلت قدرة الله تعالى في عدم تغير الذي جرت العادة أنه يتغير في ظرف يوم واحد وهو سلة التين وشراب العصير. وفي تغير الذي جرت العادة أنه لا يتغير إلا في عشرات الأعوام، وهو الحمار. كما هي ظاهرة في موت صاحبهما وحياته بعد لبثه على وجه الأرض ميتاً لم يعثر عليه أحد طيلة مائة عام. وقال له الرب تبارك وتعالى بعد أن وقفه على مظاهر قدرته فعلنا هذا بك لنريك[2] قدرتنا على إحياء القرية متى أردنا إحياءها ولنجعلك في قصتك هذه آية للناس،

---

(١) مشتق من السنة لأنّ مرّ السنين يوجب التغيّر فتسنّه تغير بمر السنين عليه مثل تحجر الطين صار حجرا بمرور الأيام أو الساعات عليه

(٢) قوله تعالى: ﴿ولنجعلك﴾ قيل الواو مقحمة، والأصل لنجعلك، وعلى أصالة الواو وعدم إقحامها يكون المعنى، أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس فالواو عاطفة إذاً وهو وظيفتها أي العطف.

تهديهم إلى الإيمان بنا وتوحيدنا في عبادتنا وقدرتنا على البعث الآخر الذي لا ريب فيه لتجزى كل نفس بما كسبت.

وأخيراً لما لاحت أنوار ولاية الله في قلب هذا العبد المؤمن الذي أثار تعجبه خراب القرية فاستبعد حياتها قال: أعلم[1] أن الله على كل شيء قدير، فهذا مصداق قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات[2] إلى النور﴾.

هداية الآيـة

من هداية الآيـة:

١ـ جواز طروء استبعاد ما يؤمن به العبد أنه حق وكائن، كما استبعد هذا المؤمن المار بالقرية حياة القرية مرة أخرى بعد ما شاهد من خرابها وخوائها.

٢ـ عظيم قدرة الله تعالى بحيث لا يعجزه تعالى شيء وهو على كل شيء قدير.

٣ـ ثبوت البعث الآخر وتقريره.

٤ـ ولاية الله تعالى للعبد المؤمن التقي تجلت في إذهاب الظلمة التي ظهرت على قلب المؤمن باستبعاده قدرة الله على إحياء القرية، فأراه الله تعالى من مظاهر قدرته ما صرح به في قوله: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

---

(١) وقرىء اِعْلَمْ، والقائل له حينئذ الله تبارك وتعالى أو مَلَك من ملائكته، أو هو خاطب نفسه قائلا لها إعلمي يا نفسي هذا العلم اليقيني الذي ما كنت تعلمينه.

(٢) لمّا قرّر تعالى ولايته للذين آمنوا وأنّه يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ذكر لذلك ثلاثة أحداث تجلى في كل واحد منها مصداق ما أخبر به، فالأول محاجة النمرود لإبراهيم وإعطاؤه تعالى نور العلم الذي أسكت به المجادل الكافر النمرود. والثاني استبعاد عزير إحياء الله مدينة القدس بعد تدميرها وتخريبها فأراه الله من آياته ما أذهب عنه ما وجده في نفسه من استبعاد حياة تلك المدينة، والثالث طلب إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيى الموتى وقد أراه ذلك فأذهب به ما وجده إبراهيم من التطلع إلى معرفة ذلك.

شــــرح الكلمــات :

إبراهيــم : هو خليل الرحمن أبو الأنبياء عليه السلام.

يطمئن قلبي : يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلى الكيفيّة.

فصرهنّ[1] إليك: أملهن واضممهن إليك وقطعهن أجزاء.

سـعيا : مشياً سريعـاً وطيرانا.

عـــزيز : غالب لا يمتنع عنه ولامنه شيء أراده بحال من الأحوال.

حكـــيم : لا يخلُق عبثا ولا يوجد لغير حكمة، ولا يضع شيئا في غير موضعه اللائق به.

معنى الآية الكريمة :

هذا مثل ثالث يوجه الى الرسول والمؤمنين حيث تتجلّى لهم ولايته تعالى لعباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى مجرّد ظلمة باستبعاد شيء عن قدرة الله تعالى، أو تطلع الى كيفيّة إيجاد شيء ومعرفة صورته. فقال تعالى: اذكروا ﴿إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي[2] الموتى﴾. سأل إبراهيم ربّه أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم هل هي جارية على نواميس معيّنة أم هي مجرد قدرة يقول صاحبها للشيء كن فيكون، فسأله ربه وهو عليم به أتقول الذي تقول ولم تؤمن؟ قال إبراهيم: بلى أنا مؤمن بأنك على كل شيء قدير، ولكن أريد أن أرى صورة لذلك يطمئن لها قلبي ويسكن من التطلع والتشوق إلى معرفة المجهول لدي. فأمره تعالى إجابة له لأنه وليّه فلم يشأ أن يتركه يتطلع إلى كيفيّة إحياء ربه الموتى، أمره بأخذ أربعة طيور[3] وذبحها وتقطيعها أجزاء وخلطها مع بعضها بعضا ثم وضعها على أربعة جبال[4] على كل جبل ربع الأجزاء المخلوطة، ففعل، ثم أخذ برأس كل طير على حِدَةٍ

---

(١) فسَّر (صرهن) بأملهن وقطعهن كما في التفسير، والكل صحيح إذ إما لتهن أوّلا ثم تقطيعهنّ وشاهد أملهن في قول العرب رجل أصور إذا كان مائل العنق وامرأة صوراء والجمع صور كسوداء وسود وعليه قول الشاعر:

الله يعلم أنا في تلفتنا يومِ الفراق إلى جيراننا صور، وشاهد قطعهن قوله صار الشيء يصوره إذا قطعه ومنه قول الشاعر:

بنهضي وقد كاد ارتقائي يصورها

(٢) هذا السؤال والله ما كان عن شك من ابراهيم أبداً وكيف وقد قال رسول الله ﷺ نحن أحق بالشك من إبراهيم، أي لو شك ابراهيم لكنّا نحن أحرى بذلك لضعفنا ولكن ما شكّ ابراهيم، وكل ما طلبه زيادة اليقين برؤية كيفية الاحياء كيف تتم، فسلام على إبراهيم الخليل وعلى محمد في العالمين.

(٣) يروى عن ابن عباس وبعض علماء السلف أنها كانت حمامة وديكاً وغراباً وطاووسا وليس في معرفتها كبير فائدة فلذا لم أذكرها في التفسير.

(٤) الجبل قطعة عظيمة من الأرض أرسى الله تعالى بها الأرض حتى لا تضطرب وتتحرك ومنافعها كثيرة منها أنّ بعض الناس يتخذونها حصونا مانعة من وصول العدو إليهم قال السموأل:

لنا جبل يحتله من نجيرة منيع يرد الطرف وهو كليل

وهو أحد جبال طيء شمال الحجاز.

ودعاه فاجتمعت اجزاؤه المفرقة المختلطة بأجزاء غيره وجاءه يسعى فقدم له رأسه فالتصق به وطار في السماء وإبراهيم ينظر ويشاهد مظاهر قدرة ربّه العزيز الحكيم. سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه.

هدايـة الآية الكريـمة

من هداية الآية الكريمة :

١ـ غريزة[1] الإنسان في حب معرفة المجهول والتطلع إليه.

٢ـ ولاية الله تعالى لإبراهيم حيث أراه من آياته ما اطمأن به قلبه وسكنت له نفسه.

٣ـ ثبوت[2] عقيدة الحياة الثانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء.

٤ـ زيادة الإيمان واليقين كلما نظر العبد إلى آيات الله الكونية، أو قرأ وتدبر آيات الله القرآنية.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾

---

(١) قالت العلماء من غرائز الإنسان التي جبل عليها حبه معرفة المجهول والآية أكبر شاهد إذ الخليل أحب أن يعرف كيفية إحياء الموتى.

(٢) إذ رؤية ابراهيم لكيفية إحياء الله تعالى الموتى من الطير أكبر دليل على قدرة الله تعالى على إحياء العباد يوم القيامة، ومن هداية هذه الآية إراءه المشركين المنكرين للبعث الآخر هذه الحادثة العجيبة كأنهم يشاهدونها فتقوم بذلك الحجة عليهم وعلى كل منكر للبعث والحياة الآخرة.

شـرح الكلمـات :

مثل الذين ينفقون[1] : صفتهم المستحسنة العجيبة.

سبيل الله : كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال.

يضـــاعف : يزيد ويكثر حتى يكون الشيء أضعاف ما كان.

منّاً ولا أذى : المنّ: ذكر الصدقة وتعدادها على من تُصُدّق بها عليه على وجه التفضل[2] عليه. والأذى: التطاول على المتصدق عليه وإذلاله بالكلمة النابيه أو التي تمس كرامته وتحط من شرفه.

قول معروف : كلام طيب يقال للسائل المحتاج نحو: الله يرزقنا وإياكم، الله كريم. الله يفتح علينا وعليك.

ومغفـــرة : ستر على الفقير بعدم إظهار فقره، والعفو عن سوء خلقه إن كان كذلك.

غـني : غنىٌ ذاتي لا يفتقر معه إلى شيء أبداً.

حليـــم : لا يعاجل بالعقوبة بل يعفو ويصفح.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مرغبا في الجهاد بالمال لتقدمه على الجهاد بالنفس لأن العدة أولا والرجال ثانياً، أن مثل ما ينفقه المؤمن في سبيل الله وهو هنا الجهاد، في نمائه وبركته وتضاعفه، كمثل حبة[3] برّ بذرت في أرض طيبة فأنبتت سبع[4] سنابل في كل سنبلة مائة حبة فأثمرت الحبة الواحدة سبعمائة حبة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يضاعف إلى سبعمائة

---

(١) ذكر القرطبي أنه روي أن هذه الآية ﴿مثل الذين ينفقون﴾ نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، إذ عثمان جهّز جيش العسرة في غزوة تبوك وعبدالرحمن خرج بنصف ماله وهو أربعة آلاف فدعا له الرسول ﷺ بقوله: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت».

(٢) المنّ من كبائر الذنوب إذ صاحبه أحد ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (في صحيح مسلم) والمنّان هو الذي لا يعطي شيئا إلاّ منّه.

(٣) الحب: اسم جنس لكل ما يزرعه الإنسان ويقتاته وأكثر ما يراد بالحب البرّ ومنه قول المتلمس

آليت حبّ العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

والحِبّة بكسر الحاء بذور البقول مما ليس بقوت وفي حديث الشفاعة: «فينبتون كما تنبت الحِبّة في حميل السيل» وحبّة القلب سويداؤه والحُبُّ معروف ضدّ الكره.

(٤) في الآية: دليل على مشروعية الزراعة، وهي واجب كفائي وورد فيها: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض» رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها.

ضعف، وقد يضاعف إلى أكثر لقوله تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٦١) وأما الآية الثانية (٢٦٢) فهي تحمل بشرى الله تعالى للمنفقين في سبيله الذين لا يتبعون ما أنفقوه منّاً به ولا أذى لمن أنفقوه عليه بأن لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من حياتهم ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم ويخلفون. وهذه هي السعادة حيث خلت حياتهم من الخوف والحزن وحل محلها الأمن والسرور. وأخيرا الآية الثالثة (٢٦٣) وهي ﴿قول معروف....﴾ فإن الله تعالى يخبر بأن الكلمة الطيبة تقال للفقير ينشرح لها صدره وتطيب لها نفسه خير من مال يعطاه صدقة عليه يهان به ويذل فيشعر بمرارة الفقر أكثر، وألم الحاجة أشد، ومغفرة وستر لحالته وعدم فضيحته أو عفو عن سوء خلقه كإلحاحه في المسألة، خير أيضاً من صدقة يفضح[1] به ويعاتب ويشنع عليه بها. وقوله في آخر الآية: ﴿ والله غني حليم﴾ أي مستغن عن الخلق حليم لا يعاجل بالعقوبة من يخالف أمره.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضل النفقة في الجهاد وأنها أفضل النفقات.

٢ـ فضل الصدقات وعواقبها الحميدة.

٣ـ حرمة المن بالصدقة وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة...» وذكر من بينهم المنان.

٤ـ الرد الجميل على الفقير إذا لم يوجد ما يعطاه، وكذا العفو عن سوء القول منه ومن غيره خير من الصدقة يتبعها أذى وفي الحديث: «الكلمة الطيبة صدقة».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ

(١) وصحّ عنه ﷺ قوله: «الكلمة الطيبة صدقة» وقوله: ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق قال: «ولا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاقّ لوالديه ولا منان».

تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

شرح الكلمات :

إبطال الصدقة[1] : الحرمان من ثوابها

المن[2] **والأذى** : تقدم معناهما.

رئاء الناس : مراءاة لهم ليكسب محمدتهم، أو يدفع مذمتهم.

صفوان[3] : حجر أملس.

وابل[4] : مطر شديد.

صلداً : أملس ليس عليه شيء من التراب.

لا يقدرون : يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة.

معنى الآية :

بعد أن رغّب تعالى في الصدقات ونبّه إلى ما يبطل أجرها وهو المنّ والأذى نادى عباده المؤمنين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا. . .﴾ ناهياً عن إفساد صدقاتهم وإبطال ثوابها فقال: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ مشبهاً حال إبطال الصدقات بحال صدقات المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر في بطلانها فقال: ﴿كالذي ينفق[5] ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم[6] الآخر﴾ وضرب مثلاً لبطلان صدقات من يتبع صدقاته منّا أو أذى أو يرائي بها الناس أو هو كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فقال: ﴿مثله كمثل صفوان عليه تراب﴾

---

(١) قالت العلماء: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنّه يمنّ أو يؤذي بها فإنها لا تقبل، وهو كما قالوا لأنّ الله تعالى قال: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ وإبطالها هو عدم قبولها وإذا لم تقبل فلا يعطى صاحبها ثوابا عليها وهو معنى: لا تقبل.

(٢) يقال طعم الآلاء أحلى من المنّ، وهو أمرّ من الآلاء عند المنّ. الآلاء الأوّل: النعم. والثاني شجر مُرّ الورق. والمنّ الأول شيء يشبه العسل، والثاني تذكير المنعم عليه بالنعمة.

(٣) الصفوان: واحده صفوانة.

(٤) يقال: وبلت السماء تَبل والأرض موبولة ومنه قوله تعالى: ﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً.

(٥) إنّ الكافر قد يعطي المال ولكن ليراه الناس فيمدحوه ويشكروه وهذا عمل أهل الجاهلية الماضية والحاضرة أيضاً.

(٦) أي إنفاقاً كإنفاق الذي ينفق ماله رئاء الناس طَلَباً لمحمدتهم أو خوفاً من مَذَمَّتهم.

أي حجر أملس عليه تراب، ﴿فأصابه وابل فتركه صلدا﴾[1] أي نزل عليه مطر شديد فأزال التراب عنه فتركه أملس عارياً ليس عليه شيء، فكذلك تذهب الصدقات الباطلة ولم يبق منها لصاحبها شيء ينتفع به يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ أي مما تصدقوا به، ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾[2] إلى ما يسعدهم ويكملهم لأجل كفرانهم به تعالى.

هداية الآية

من هداية الآية :

١ـ حرمة المن والأذى في الصدقات وفسادها بها.

٢ـ بطلان صدقة المان والمؤذي والمرائي بهما.

٣ـ حرمة الرياء وهي من الشرك لحديث: «إياكم والرياء فإنه الشرك الأصغر».

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

---

(١) التراب على الصفوان عندما يراه الفلاح يعجبه لنعومة التربة وصفائها فيبذر فيه رجاء أن يحصد ولكن إذا نزل عليه المطر الشديد مسحه وذهب به وبالبذر معه فيصاب صاحبه بخيبة الأمل فكذلك المنفق رئاء الناس.

(٢) هذه الجملة ذيّل بها الكلام لتحمل تحذيراً شديدا للمؤمنين ان يسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم فإنها باطلة خاسرة.

شرح الكلمات :

المثـــل : الصفة المستملحة المستغربة.

ابتغاء مرضاة الله : طلبا لرضا الله تعالى.

تثبيتاً[1] : تحقيقاً وتيقناً بمثوبة الله تعالى لهم على إنفاقهم في سبيله.

جنّة بربوة[2] : بستان كثير الأشجار بمكان مرتفع.

ضـعفين : مضاعفاً مرتين، أوضعفي ما يثمر غيرها.

الوابـل : المطر الغزير الشديد.

الطـلّ : المطر الخفيف.

إعصـار : ريح عاصف فيها سموم.

معنى الآيتين :

لما ذكر الله تعالى خيبة المنفقين أموالهم رياء الناس محذراً المؤمنين من ذلك ذكر تعالى مرغباً في النفقة التي يريد بها العبد رضا الله وما عنده من الثواب الأخروي فقال ضاربا لذلك مثلاً: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ أي طلباً لمرضاته ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي تحققا وتيقناً منهم بأن الله تعالى سيثيبهم عليها مثلهم في الحصول على ما أمّلوا من رضا الله وعظيم الأجر كمثل جنّة بمكان مرتفع عالٍ أصابها مطر غزير فأعطت ثمرها ضعفي ما يعطيه غيرها من البساتين ولما كانت هذه الجنة بمكان عال مرتفع فإنها إن لم يصبها المطر الغزير فإن الندى والمطر اللين الخفيف كافٍ في سقيها وريها حتى تؤتي ثمارها مضاعفاً مرتين، وختم تعالى هذا الكلام الشريف بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فواعد به المنفقين ابتغاء مرضاته وتثبيتاً من أنفسهم بعظم الأجر وحسن المثوبة، وأوعد به المنفقين الذين يتبعون ما أنفقوا بالمن والأذى والمنفقين رياء الناس بالخيبة والخسران.

كان هذا معنى الآية الأولى (٢٦٥) وأما الآية الثانية (٢٦٦) فإنه تعالى يسائل عباده تربية

---

(١) لقد اختلف في معنى ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ ورجح ما فسّرناه به في التفسير وهناك معنى آخر لطيف وهو وتثبيتا لأنفسهم على الإيمان وأفعال البرّ لأن الحسنة تلد الحسنة فهم ينفقون أموالهم طلبا لرضوان الله وترويضا منهم لأنفسهم على فعل الخير والإحسان.

(٢) الربوة: مثلثة الراء: المكان المرتفع.

لهم وتهذيباً لأخلاقهم وسمواً بهم إلى مدارج الكمال الروحي فيقول: ﴿أيود أحدكم﴾[1] أي أيحب أحدكم أيها المنفقون في غير مرضاة الله تعالى أن يكون له جنّة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الثمرات والحال أنه قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبيراً، ومع هذا العجز فإن له ذريّة صغاراً لا يقدرون على الكسب وجلب عيشهم بأنفسهم، وأصاب ذلك البستان الذي هو مصدر عيش الوالد وأولاده أصابه ريح عاتية تحمل حرارة السموم[2] فأتت على ذلك البستان فأحرقته، كيف يكون حال الرجل الكبير[3] وأولاده؟ هكذا الذي ينفق أمواله رئاء الناس يخسرها كلها في وقت هو أحوج إليها من الرجل العجوز وأطفاله الصغار، وذلك يوم[4] القيامة وأخيراً يمتن تعالى على عباده بما يبين لهم من الآيات في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب ليتفكروا فيها فيهتدوا على ضوئها الى كمالهم وسعادتهم فقال تعالى: ﴿كذلك﴾ أي كذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون[5]﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- استحسان ضربْ الأمثال تقريباً للمعاني الى الأذهان لينتفع بها.

٢- مضاعفة أجر الصدقة الخالية من المن والأذى ومراءاة الناس.

٣- بطلان صدقات المان والمؤذي والمرائي وعدم الانتفاع بشيء منها.

٤- وجوب التفكر في آيات الله لاسيما تلك التي تحمل بيان العقائد والأحكام والآداب والأخلاق.

---

(١) الودّ: حبّ الشيء مع تمنيه

(٢) ولذا قال ﷺ: «أبردوا بصلاتكم في الحرّ فإن شدة الحر من فيح جهنم» رواه البخاري وغيره.

(٣) روى الحاكم وذكره ابن كثير أنّ النبي ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم اجعل أوسع رزقك عَلَيّ عند كبر سنّي وانقضاء عمري».

(٤) روى البخاري أن عمر رضي الله عنه سأل يوما أصحاب رسول الله عن هذه الآية: ﴿أيودّ أحدكم﴾ فقالوا: الله أعلم فقال قولوا نعلم ولا نعلم فقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال: ضربت مثلا لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

(٥) أي في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الأخرة وبقائها، وهذا لا يتنافى مع ما فسّرنا به الآية. في التفسير.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾

شرح الكلمات :

من طيبات ما كسبتم : من جيّد أموالكم وأصلحها .

ومما أخرجنا لكم من الأرض : من الحبوب وأنواع الثمار.

ولا تيمموا الخبيث : لا تقصدوا الرديء تنفقون منه .

إلا أن تُغْمِضُوا فيه[1] : إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر في رداءته فتأخذونه بتساهل منكم وتسامح .

حميد : محمود في الأرض والسماء في الأولى والأخرى لما أفاض ويفيض من النعم على خلقه .

يعدكم الفقر : يخوفكم من الفقر ليمنعكم من الإنفاق في سبيل الله .

ويأمركم بالفحشاء : يدعوكم إلى ارتكاب الفواحش ومنها البخل والشح .

الحكمة : فهم أسرار الشرع ، وحفظ الكتاب والسنّة .

أولوا الألباب : أصحاب العقول الراجحة المفكرة فيما ينفع أصحابها .

(١) يقال أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز، وما في التفسير فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرداءة، وقراءة الجمهور تشهد للمعنيين التجاوز، وتغميض العين.

معنى الآيات :

بعـدمـا رغب تعـالى عبـاده المؤمنين في الانفاق في سبيله في الآية السّابقة ناداهم هنا بعنوان الإيمان وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] انفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما أخرجنا لكم من الأرض[2]﴾ يريد الحبوب والثمار كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم،ونهاهم عن التصدق بالرّديء من أموالهم فقال: ﴿ولا تيمَّموا[3] الخبيث منه[4] تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يريد لا ينبغي لكم أن تنفقوا الرديء وأنتم لو اعطَيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تغمضون وتتساهلون في قبولـه، وهـذا منه تعالى تأديب لهم وتربية. وأعلمهم أخيراً أنه تعالى غنيٌّ عن خلقه ونفقاتهم فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم، وأنه تعالى حميد محمود بماله من إنعام على سائر خلقه كان هذا معنى الآية (٢٦٧) أما الآية (٢٦٨) فإنه تعالى يحذّر عباده من الشيطان ووساوسه فأخبرهم أن الشيطان يعدهم الفقر[5] أي يخوفهم منه حتى لا يزكوا ولا يتصدقوا ويأمرهم بالفحشاء فينفقون أموالهم في الشر والفساد ويبخلون بها في الخير،والصالح العام أما هو تعالى فإنه بأمره إياهم بالإنفاق يعدهم مغفرة ذنوبهم لأن الصدقة تكفر الخطيئة، وفضلا منه وهو الرزق الواسع الحسن، وهو الواسع الفضل العليم بالخلق. فاستجيبوا أيها المؤمنون لنداء الله تعالى، وأعرضوا عن نداء الشيطان فإنه عدوكم لا يعدكم إلا بالشر،ولا يأمركم إلا بالسوء والباطل، كان هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٢٦٩) فإن الله تعالى يرغّبُ في تعلُّم العلم النافع،العلم الذي يحمل على العمل الصالح، ولا يكون ذلك إلا علم الكتاب والسنة حفظاً وفهمًا وفقهاً فيهما فقال

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴿الشيطان يعدكم...﴾ الخ اثنتان من الله تعالى و اثنتان من الشيطان. ويفسّره حديث الترمذي إذ فيه قوله ﷺ: «إن للشيطان لمّة بابـن آدم وللملك لمة، فأمّا لمة الشيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله، ومن وجدالأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثمّ قرأ: ﴿الشيطان..﴾ الآية.

(٢) الآية في الزكاة قطعا، والنهي عن الانفاق من الرديء يشمل الزكاة. والتطوع معاً.

(٣) روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين في سبب نزول هذه الآية عن البراء قال: هذه الآية نزلت فينا، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لايرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص فيعلقه فنزلت: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ الآية.

(٤) أي من الخبيث الذي هو الرديء.

(٥) تفتح فاء الفقر، وتضم كالضَعف والضُعف.

تعالى: ﴿يؤتى﴾ أي هو تعالى ﴿الحكمة من يشاء[1]﴾ ممن طلبها وتعرض لها راغباً فيها سائلا الله تعالى أن يعلمه، وأخبر أخيراً أن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً[2] فليطلب العاقل الحكمة قبل طلب الدنيا هذه تذكرة ﴿وما يذّكّر إلا أولوا الألباب﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الزكاة في المال الصامت من ذهب وفضة وما يَقُوم مقامها من العمل وفي الناطق من الإبل والبقر والغنم إذ الكل داخل في قوله: ﴿ما كَسبتم﴾ وهذا بشرط الحول[3] وبلوغ النصاب.

٢ـ وجوب الزكاة في الحرث: الحبوب والثمار وذلك فيما بلغ نصابا، وكذا في المعادن إذ يشملها لفظ الخارج من الأرض.

٣ـ قبح الإنفاق من الرديء وترك الجيد.

٤ـ التحذير من الشيطان ووجوب مجاهدته بالإعراض عن وساوسه ومخالفة أوامره.

٥ـ إجابة نداء الله والعمل بإرشاده.

٦ـ فضل العلم على المال.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ[4] ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ

---

(١) الحكمة: النبوة والقرآن والإصابة في الأمور بوضع كل شيء في موضعه فأعلى الحكمة النبوة ثم القرآن والسنة. وفي الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها» واللفظ يشمل القرآن والسنة.

(٢) أصل الحكمة: إحكام الشيء وإتقانه وعليه فحفظ القرآن والسنة وفهمهما والعمل بهما هو الحكمة وفي الصحيح: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» وورد: رأس الحكمة مخافة الله.

(٣) الحول: هو مرور سنة كاملة على زكاة النقدين والأنعام وعَروض التجارة، والنصاب في الحبوب والثمار خمسة أوسق لحديث الصحيح: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد. وفي النقدين: الذهب عشرون ديناراً ما يعادل ٧٠ غراماً وفي الفضة مائتا درهم: ما يعادل ٤٦٠ غراماً، وفي الغنم أربعون شاة، وفي البقر ثلاثون بقرة، وفي الإبل خمس منها.

(٤) قوله تعالى: ﴿فنعمّا هي﴾ ثناء على إبداء الصدقة وقوله: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء﴾ حكم على أنّ الإخفاء خير من الإبداء، قال أحد الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره. قال دعبل الخزاعي:

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم   وإن أنعموا أنعموا باكتتام

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

شرح الكلمات :

من نفقة : يريد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الرديء.

من نذر : النذر[1] التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع، كأن يقول: لله عليّ أن أتصدق بألف؛ أو أصوم شهراً أو أصلي كذا ركعة أو يقول: إن حصل[2] لي كذا من الخير أفعل كذا من الطاعات.

إن تبدو الصدقات : أي تظهروها.

فنعما هي : فنعم تلك الصدقة التي أظهرتموها ليُقْتَدى بكم فيها.

ويكفر عنكم من سيئاتكم : يكفر بمعنى يسترها ولا يطالب بها، ومن للتبعيض إذ حقوق العباد لا تكفرها الصدقة.

معنى الآية الكريمة :

بعدما دعا تعالى عباده إلى الإنفاق في الآية السابقة أخبر تعالى أنه يعلم ما ينفقه عباده فإن كان المُنْفَق جيداً صالحاً يعلمه ويجزي به وإن كان خبيثاً رديئاً يعلمه ويجزي به وقال تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه[3]﴾ فما كان مبتغىً به وجه الله ومن جيد المال فسوف يكفر به السيئات ويرفع به الدرجات، وما كان رديئاً ونذراً لغير الله تعالى فإن أهله ظالمون وسَيُغْرمون أجر نفقاتهم ونذورهم لغير الله ولا يجدون من يثيبهم على شيء منها لأنهم ظالمون فيها حيث وضعوها في غير موضعها، ﴿وما للظالمين من أنصار﴾. هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٧٠).

---

(١) مما يجب علمه أنّه شاع في العامة بين المسلمين النذر للأولياء والصالحين وهو محرّم قطعاً إذ هو من شرك العبادة فبعضهم يقول يا سيدي فلان إن قضى الله حاجتي فعلت لك كذا، وآخر يقول: إن حصل لي كذا ذبحت لك أو جدّدت بناء قبّتك أو أنرت ضريحك، فيجب أن يُنهى عن هذا كله ويعلم من يفعله أنه أشرك بعبادة ربّه.

(٢) النذر المشروط مكروه لقول الرسول ﷺ: «النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل». أو كما قال ﷺ. أمّا النذر المطلق فهو قربة من أفضل القرب، وفي التفسير بيان لكلٍّ من المطلق والمشروط فانظره.

(٣) في الآية إيجاز بليغ إذ التقدير وما أنفقتم من نفقة فإنّ الله يعلمها أو نذرتم من نذر فإنّ الله يعلمه فحذف من الأول لدلالة الأخير عليه تجنبا للتكرار المنافي لبلاغة الكلام.

أما الآية الثانية (٢٧١) فقد أعلم تعالى عباده المؤمنين أن ما ينفقونه لوجهه ومن طيب أموالهم علناً وجهرة هو مال رابح، ونفقة مقبولة، يثاب عليها صاحبها، إلا أنّ ما يكون من تلك النفقات سراً ويوضع في أيدي الفقراء يكون خيراً لصاحبه لبعده من شائبة الرياء، ولإكرام الفقراء، وعدم تعريضهم لمذلة التصدق عليهم وأنه تعالى يكفّر عن المنفقين سيئاتهم بصدقاتهم، وأخبر أنه عليم بأعمالهم فكان هذا تطميناً لهم على الحصول على أجور صدقاتهم، وسائر أعمالهم الصالحة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- الترغيب في الصدقات ولو قلّت والتحذير من الرياء فيها وإخراجها من رديء الأموال.

٢- جواز إظهار الصدقة[1] عند سلامتها من الرياء.

٣- فضل صدقة السرّ وعظم أجرها، وفي الحديث الصحيح: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». ذكر من السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ[2] ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) صدقة التطوع الإسرار بها أفضل ففي الحديث: «صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ عزّ وجلّ» وفي الصحيح: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ربّ العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» والصدقة الواجبة وهي الزكاة إعلانها أفضل من إسرارها. هذا ومرد القضية إلى حال المتصدق والمتصدق عليه فإن كان المتصدق بإعلانه يتبعه غيره ويكون كمن سنّ سنّة حسنة فالإعلان أفضل وإن كان المتصدق عليه يخجل ويستحي من الصدقة عليه فالإسرار له أفضل من غيره.

(٢) من قال بوجوب صدقة الفطر منع إعطاءها لفقراء أهل الذمّة ومن قال بسنيتها دون وجوبها قال يجوز، والصحيح أنها حق لفقراء المسلمين لانشغالهم بصلاة العيد وبالعبادة في رمضان، وأهل الذمة يعملون الليل والنهار.

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ[1] يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

شرح الكلمات :

هداهم : هدايتهم إلى الإيمان وصالح الأعمال.

من خير : من مال.

فلأنفسكم : ثوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر والآجل يوم القيامة عائد على أنفسكم.

يوف إليكم : يرد أجره كاملا لا ينقص منه شيء.

احصروا : حبسوا ومنعوا من التصرف لأنهم هاجروا من بلادهم.

ضربا في الأرض : أي سيراً فيها لطلب الرزق بالتجارة وغيرها لحصار العدو لهم.

بسيماهم : علامات حاجتهم من رثاثة الثياب وصفرة الوجه.

من التعفف : ترك سؤال الناس،والكف عنه.

إلحافا[2] : إلحاحا وهو ملازمة السائل من يسأله حتى يعطيه.

معنى الآيات :

لما أمر تعالى بالصدقات ورغب فيها وسألها غير المؤمنين من الكفار واليهود فتحرج الرسول

---

(١) قيل نزلت في علي إذ كان له أربعة دراهم فانفقها على ما ذكر في الآية، والآية عامة في المنفقين من غير تبذير ولا تقتير وفي كل حالة تتطلب الانفاق سواء بالليل أو بالنهار سراً أو علانيّة.

(٢) الإلحاح والإلحاف، والإحفاء مصادر ألحّ في السؤال والحف وأحفى والإلحاف مشتق من اللحاف لأنّه يشتمل على الملتحق به كذلك الإلحاف في السؤال لأن الملحف يأتي أمام المسؤول ويأتي عن يمينه عن شماله يسأله لا يفارقهُ حتى يعطيه أو يمنعه.

والمؤمنون من التصدق على الكافرين فأذهب الله تعالى عنهم هذا الحرج وأذن لهم بالتصدق على غير المؤمنين والمراد من الصدقة صدقة التطوع لا الواجبة وهي الزكاة فقال تعالى مخاطبا رسوله وأمته تابعة له: ﴿ليس عليك هداهم﴾ لم يوكل إليك أمر هدايتهم لعجزك عن ذلك وإنما الموكل إليك بيان الطريق لا غير وقد فعلت فلا عليك أن لا يهتدوا، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم، وما تنفقوا من مال تثابوا عليه،سواء كان على مؤمن أو كافر إذا أردتم به وجه الله وابتغاء مرضاته، وأكّد تعالى هذا الوعد الكريم بقوله: ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ والحال أنكم لا تظلمون بنقص ما أنفقتم ولو كان النقص قليلا. كان هذا معنى الآية الأولى (٢٧٢) أما الآية الثانية وهي: ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله...﴾ فقد بين تعالى فيها أفضل جهة ينفق فيها المال ويتصدق به عليها وهي فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأحصروا في المدينة بجوار رسول الله ﷺ لا يستطيعون ضرباً في الأرض للتجارة ولا للعمل، ووصفهم تعالى بصفات يعرفهم بها رسوله والمؤمنون ولولا تلك الصفات لحسبهم لعفتهم وشرف نفوسهم الجاهلُ بهم أغنياء غَيْرَ محتاجين فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم﴾ لا يسألون[1] الناس مجرد[2] سؤال فضلا عن أن يُلِحُّوا ويُلْحِفُوا. ثم في نهاية الآية أعاد تعالى وعده الكريم بالمجازاة على ما يُنْفَقْ في سبيله فقال: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ولازمه أن يثيبكم عليه أحسن ثواب فأبشروا واطمئنوا.

وأما الآية الثالثة (٢٧٤) فهي آخر آيات الدعوة إلى الانفاق جاءت تحمل أعظم بشر للمنفقين في كل أحوالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية بأن أجر نفقاتهم مدخر لهم عند ربهم يتسلمونه يوم يلقونه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والبرزخ والآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ جواز التصدق على الكافر المحتاج بصدقة التطوع لا الزكاة فإنها حق[3] المؤمنين.

(١) متى تحل المسألة؟ قال أحمد: إذا لم يكن للمرء ما يغديه ويعشيه جاز له السؤال، وقال: لا يسأل الرجل لغيره، ولكن يقول لغيره تصدقوا لقوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا».

(٢) أي لا يسألون بإلحاح ولا بدونه فهم لا يسألون غيرهم البتة.

(٣) شاهده قوله ﷺ: «أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم» وشاهده في الصحيح «خذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم».

٢- ثواب الصدقة عائد على المتصدق لا على المتصدق عليه فلذا لا يضر إن كان كافراً.

٣- وجوب الإخلاص في الصدقة أي يجب أن يراد بها وجه الله تعالى لا غير.

٤- تفاضل أجر الصدقة بحسب فضل وحاجة المتصدق عليه.

٥- فضيلة التعفف وهو ترك السؤال مع الاحتياج[1]، وذم الإلحاح في الطلب من غير الله تعالى أما الله عز وجل فإنه يحب الملحين في دعائه.

٦- جواز التصدق بالليل والنهار وفي السر والعلن إذ الكل يثيب الله تعالى عليه ما دام قد أريد به وجهه لا وجه سواه.

٧- بشرى الله تعالى للمؤمنين المنفقين بادخار أجرهم عنده تعالى ونفي الخوف والحزن عنهم مطلقا.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

---

(١) من أعطي شيئا من غير طلب ولا تشوف جاز له أخذه لحديث الصحيح: «أنّ النبي ﷺ أعطى عمر مالاً فقال عمر أعطه أفقر إليه مني فقال ﷺ خذه وما جاءك من هذا المال وأنت غَيْر مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك».

شـرح الكلمـات :

يأكلـون الـربا[1] : يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل في بطونهم، وبغير الأكل والربا هنا ربا النسيئة وحقيقته أن يكون لك على المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر على تسديده تقول له: أخر وزد فتؤخره أجلا وتزيد في رأس المال قدراً معيناً، هذا هو ربا الجاهلية والعمل به اليوم في البنوك الربوية فيسلفون المرء مبلغاً الى أجل ويزيدون قدراً آخر نحو العشر أو أكثر أو أقل والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل[2] أو ربا نسيئة.

لا يقومـــون : من قبورهم يوم القيامة.

يتخبـطه الشيطـان[3] : يضربه الشيطان ضرباً غير منتظم.

مـن المـس[4] : المس الجنون، يقال: بفلان مسّ من جنون.

موعظـــة : أمر أو نهي بترك الـربا.

فله ما سـلف : ليس عليه أن يرد الأموال التي سبقت توبته.

يمحق الله الربا : أي يذهبه شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه شيء كمحاق القمر آخر الشهر.

ويـربي الصدقات : يبارك في المال الذي أخرجت منه، ويزيد فيه، ويضاعف أجرها أضعافاً كثيرة.

كـفار أثيـم : الكفار: شـديد الكفر، يكفر بكل حق وعدل وخير، أثيم: منغمس في الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها.

---

(١) الربا: لغة الزيادة وشاهده الحديث: «والله ما أخذنا من لقمة إلاّ ربا مَنْ تحتها» أي الطعام وعبّر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ يراد للأكل غالباً، وكل حرام قد يطلق عليه الربا تجوّزاً.

(٢) ربا الفضل بيانه في حديث مسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبرّ بالبرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي سواء» وقال ﷺ في حديث آخر: «فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد».

(٣) يقال خبطه وتخبطه كملكه وتملّكه، وعبده وتعبّده، والتخبط: الضرب في غير استواء ومنه قولهم خبط عشواء.

(٤) أصل المسّ: اللّمس باليد، ومَنْ مسّه الشيطان اختلط عقله وأصبح يصيح بسبب مس الشيطان له فيقال: فلان يصرَع من الجنّ أي من مسّ الجنّ له، والشيطان من الجنّ، فالمرابي يقوم يوم القيامة مِنْ قبره كالمجنون أي الذي به مسّ الجن يصرع صرعه.

معنى الآيتين :

لما حث الله على الصدقات وواعد عليها بعظيم الأجر ومضاعفة الثواب ذكر المرابين الذين يضاعفون مكاسبهم المالية بالربا وهم بذلك يسدّون طرق البر،ويصدون عن سبيل المعروف فبدل أن ينموا أموالهم بالصدقات نموها بالربويات ، فذكر تعالى حالهم عند القيام من قبورهم وهم يقومون، ويقعدون،ويغفون ويُصرعون[1] ، حالهم حال من يصرع في الدنيا بمس الجنون ، علامة يعرفون بها يوم القيامة كما يعرفون بانتفاخ بطونهم وكأنها خيمة مضروبة بين أيديهم.قال تعالى : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ ،وذكر تعالى سبب هذه النقمة عليهم فقال ﴿ذلك﴾ أي أصابهم ذلك الخزي والعذاب بأنهم ردّوا علينا حكمنا بتحريم الربا وقالوا انما البيع مثل الربا ، إذ الربا الزيادة في نهاية الأجل، والبيع في أوله ، ورد تعالى عليهم فقال : ﴿واحل الله البيع[2] وحرم الربا﴾ فما دام قد حرم الربا فلا معنى للاعتراض ، ونسوا أن الزيادة في البيع هي في قيمة سلعة تغلو وترخص،وهي جارية على قانون الإذن في التجارة ، وأما الزيادة في آخر البيع فهي زيادة في الوقت فقط . ثم قال تعالى مبيناً لعباده سبيل النجاة محذراً من طريق الهلاك : ﴿فمن جاءه موعظة من ربّه﴾ وهي تحريمه تعالى للربا ونهيه عنه فانتهى عنه فله ما سلف قبل معرفته للتحريم،أو قبل توبته منه ، وأمرُه بعد ذلك إلى الله إن شاء ثبته على التوبة فنجاه ، وإن شاء خذله لسوء عمله،وفساد نيّته فأهلكه وأرداه وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ . أخبر تعالى أنه بعدله يمحق[3] الربا ، وبفضله يربي الصدقات ، وأنه لا يحب كل كفار لشرع الله وحدوده،أثيم بغشيانه الذنوب وارتكابه المعاصي . كان هذا معنى الآية الأولى (٢٧٥) أما الآية الثانية (٢٧٦) فهي وعد رباني صادق وبشرى الهية سارة لكل من آمن وعمل صالحاً وأقام الصلاة على الوجه الذي تقام به وآتى الزكاة بأنّ له أجره وافٍ عند ربّه يتسلمه يوم الحاجة إليه في عرصات القيامة وأنه لا يخاف مما يستقبله فى الحياة الدنيا والآخرة ولا يحزن أيضاً في الدنيا ولا في الآخرة .

(١) قال ابن عطية : وأمّا ألفاظ الآية فيحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون لأن الطمع والرغبة تستفزّه حتى تضطرب أعضاؤه كما يقوم المسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته حتى يقال : قد جنّ هذا ، ولكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود إذ كان يقرأ لايقومون يوم القيامة مع تظافر أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل .

(٢) في هذا دليل على أنه لا قياس مع النص ، فالمشركون قاسوا الربا على البيع فأبطل الله قياسهم لأنّ الربا حرام فلا يقاس على البيع الحلال .

(٣) روى ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال : «إنّ الربا وإن كثر فعاقبته إلى قل» أي إلى قلة ونقصان .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان عقوبة آكل الربا يوم القيامة لاستباحتهم الربا وأكلهم له وعدم التوبة منه .

٢ـ تحريم الربا وكل مال حرام لما جاء في الآية من الوعيد الشديد .

٣ـ صفة الحب لله تعالى وأنه تعالى يحب أولياءه وهم أهل الإيمان به وطاعته ويكره أعداءه وهم أهل الكفر به ومعاصيه من أكل الربا وغيره من كبائر الذنوب .

٤ـ حلية البيع إن تم على شروطه المبيّنة في كتب الفقه .

٥ـ من تاب من الربا تقبل توبته، ويحل له ما أفاده منه قبل التوبة بشرط سيأتي في الآيات بعد هذه .

٦ـ وعيد الله تعالى بمحق الربا ووعده بإرباء[1] الصدقة .

٧ـ بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح مع إقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

شرح الكلمات :

اتقوا الله : خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه وعقابه .

---

(١) شاهده من الكتاب : ﴿يمحق الله الرِّبا ويربي الصدقات﴾ ومن السنة قوله ﷺ : «إن الرِّبا وإن كثر فعاقبته إلى قلّ» وقوله : «إن العبد إذا تصدّق من طيّب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره أوفصيله، وإنّ الرجل ليتصدق باللّقمة فتربو في يد الله أو قال في كفّ الله حتى تكون مثل أُحُد فتصدَّقوا» .

وذروا ما بقي من الربا : اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربويّة .

فأذنوا بحرب : اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم[1] سلاح فإنكم المهزومون الهالكون .

فلكم رؤوس أموالكم : بعد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا .

العسرة : الشدة والضائقة المالية .

فنظرة إلى ميسرة : أي انتظار للمدين إلى أن ييسر الله عليه فيعطيكم رأس مالكم الذي أخذه منكم .

وأن تصدقوا : وأن تتصدقوا على المعسر بترك ما لكم عليه فذلك خير لكم .

معنى الآيات :

بمناسبة ذكر عقوبة آكلي الربا في الآيات السابقة نادى الله تعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم بتقواه تعالى، وذلك بطاعته وترك معصيته، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربويّة مذكراً إياهم بايمانهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه وفعل ما يأمره به وترك ما ينهاه عنه فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾، ثم هدد المتباطئين بقوله: فإن لم تفعلوا فاعلموا بحرب[2] قاسية ضروس من الله ورسوله، ثم بيّن لهم طريق التوبة وسبيل الخلاص من محنة الربا وفتنته بقوله: وإن تبتم بترك الربا فلكم رؤوس[3] أموالكم لا غير لا تظلمون بأخذ زيادة، ولا تظلمون بنقص من رأس مالكم. وإن وجد مدين لكم في حالة إعسار فالواجب انتظاره إلى ميسرته[4]، وشيء آخر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلّها تطهيراً لأموالكم التي لامسها الربا وتزكية لأنفسكم من آثاره السيئة. ثم ذكر تعالى سائر عباده بيوم القيامةوما فيه من أهوال ومواقف

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلاّ ضرب عنقه.

(٢) حرمة الربا مجمع عليها، والأحاديث الواردة في تحريمه كثيرة جدًا، أذكر منها حديث مسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وذكر منها «أكل الربا» وحديث أبي داود: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه».

(٣) استدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كلّ ما طرأ على البيع قبل القبض مما يوجب تحريم العقد أبطل العقد.

(٤) ورد في فضل إنظار المعسر أحاديث منها: «مَنْ أنظر معسرا كان له بكلّ يوم صدقة» وقوله «مَنْ سرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه».

صعبة حيث يتم الحساب الدقيق وتجزى فيه كل نفس مؤمنة أو كافرة بارة أو فاجرة ما كسبته من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم أو زيادة سيئاتهم فقال تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ وهذا التوجيه الذي حملته هذه الآية ذات الرقم (٢٨٠) آخر توجيه تلقته البشرية من ربها تعالى إذ هذه آخر ما نزل من السماء على رسول الله ﷺ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب التوبة من الربا ومن كل المعاصي.

٢ـ المصر على المعاملات الربوية يجب على الحاكم أن يحاربه[1] بالضرب على يديه حتى يترك الربا.

٣ـ من تاب من الربا لا يظلم بالأخذ من رأس ماله بل يعطاه وافيا كاملاً إلا أن يتصدق بالتنازل عن ديونه الربوية فذلك خير له حالاً ومـآلا.

٤ـ وجوب ذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح وترك الربا والمعاصي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ[2] ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ[3] إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ

---

(١) قال ابن خويز منداد: ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً له كانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردّة، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالا، للإمام محاربتهم، ألا ترى أنّ الله تعالى قد أذن في ذلك فقال: ﴿فأذنوا بحرب مِن الله ورسوله﴾.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في السلم خاصة يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها وهي عامة فى كل الديون بلا خلاف.

(٣) رفع بلفظ (يدَين) الاشتراك إذ التداين معناه دان بعضهم بعضا إذا جزاه. بعمله ومنه قولهم دناهم كما دانوا فلمّا قال بدين رفع المعنى العام وأصبح خاصاً بالتداين المالي.

أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

شرح الكلمات :

تداينتم[1] : داين بعضكم بعضا في شراء أو بيع أو سَلَم أو قرض.

إلى أجل مسمى[2] : وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام.

بالعدل : بلا زيادة ولا نقصان ولا غش أو احتيال بل بالحق والإنصاف.

ولا يأب : لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب.

وليملل الذي عليه الحق : لأن إملاءه اعتراف منه وإقرار بالذي عليه من الحق.

ولا يبخس منه شيئا : لا ينقص من الدين الذي عليه شيء ولو قل كفلس وليذكره كله.

---

(١) تداين: تفاعل من الدَّين يقال: داينت الرجل، عاملته بدين معطياً أو آخذا كما بايعته إذا بعته أو باعك.

(٢) ذكر الأجل المسمى يجعل الآية في بيع السلم لحديث الصحيح: «من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» والسلم والسلف واحد. ويقال له بيع المحاويج.

سفيهاً أو ضعيفاً : السفيه: الذي لا يحسن التصرفات المالية، والضعيف: العاجز عن الإملاء كالأخرس،أو الشيخ الهرم.

وليّه : من يلي أمره ويتولى شؤونه لعجزه وقصوره.

من رجالكم : أي المسلمين الأحرار دون العبيد والكفار.

أن تضل إحداهما : تنسى أو تخطىء لقصر إدراكها.

ولا تسأموا : لا تضجروا أو تملّوا من الكتابة ولو كان الدين صغيراً مبلغه.

أقسط عند الله : أعدل في حكم الله وشرعه.

وأقوم للشهادة : أثبت لها وأكثر تقريراً لأن الكتابة لا تنسى والشهادة تنسى أو يموت الشاهد أو يغيب.

وأدنى أن لا ترتابوا[1] : أقرب أن لا تشكّوا بخلاف الشهادة بدون كتابة.

تديرونها بينكم : أي تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري يعطي النقود فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها.

وأشهدوا إذا تبايعتم : إذا باع أحدٌ أحداً داراً أو بستاناً أو حيواناً يشهد على ذلك البيع.

ولا يضار كاتب ولا شهيد: بأن يكلف مالا يقدر عليه بأن يُدْعى ليشهد في مكان بعيد يشق عليه أو يطلب إليه أن يكتب زوراً أو يشهد به.

فسوق بكم : أي خروج عن طاعة ربكم لاحق بكم إثمه وعليكم تبعته يوم القيامة.

اتقوا الله : في أوامره فافعلوها، وفي نواهيه فاتركوها، وكما علمكم هذا يعلمكم كل ما تحتاجون فاحمدوه بألسنتكم واشكروه بأعمالكم، وسيجزيكم بها وهو بكل شيء عليم.

---

(١) روى أبو داود والترمذي أنّ أوّل من جحد آدم، إذ أراه الله تعالى ذريته فرأى رجلاً أزهر ساطع النور فسأل الله تعالى فقال إنّه داود فقال ربِّ كم عُمره قال ستّون قال فزده من عمري أربعين ليكمل له مائة فزاده، وكان عمر آدم ألف سنة وكتب الله ذلك في كتاب ولمّا عاش آدم وحضرته الوفاة قال ربِّ بقي من عمري أربعون سنة فقال الله تعالى: ألم تكن قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فأخرج الكتاب وقد شهد عليه الملائكة إلّا أن الله تعالى وفّى لآدم ألف سنة ولداود مائة. (نقلناه بالمعنى).

معنى الآية الكريـــمة :

لما حث تعـالى على الصـدقات،وحرم الربا،ودعا إلى العفو على المعسر،والتصدّق عليه بإسقاط الدين الأمر الذي قد يتبادر الى الذهن أنّ المال لا شأن له ولا قيمة في الحياة فجاءت هذه الآية، آية الدين الكريمة لتعطي للمال حقّه،وترفع من شأنه فإنه قوام الحياة فقررت واجب الحفاظ عليه،وذلك بكتابة الديون،والإشهاد عليها بمن ترضى عدالتهم،وكون الشهود رجلين مسلمين حرّين،فإن انعدم رجل من الاثنين قامت إمرأتان[1] مقامه، واستحث[2] الله تعالى من يحسن الكتابة أن يكتب إذا كان في سعة من أمره، وحرم على الشهود إذا ما دُعوا لأداء الشهادة أن يتخلّوا عنها، وحرم على المتداينين أن لا يكتبوا ديونهم ولو كانت صغيرة قليلة فقال تعالى: ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾ ورخص تعالى رحمةً منه في عدم كتابة التجارة الحاضرة التي يدفع فيها السلعة في المجلس،ويقبض الثمن فيه فقال: ﴿إلا أن تكـون تجارةٌ حاضرةٌ تُديرونها بينكم فليس عليكم جُناح ألاّ تكتبوها. .﴾ وأمر بالإشهـاد على البيع فقـال: ﴿وأشهـدوا إذا تبايعتم. .﴾ ونهى عن الإضرار بالكاتب،أو الشهيد،بأن يلزم الكاتب أن يكتب إذا كان في شغله، أو الشاهد بأن يطلب منه أن يشهد وهو كذلك في شغله، أو أن يُدْعى الى مسافات بعيدة تشقّ عليه إذ أمره تطوع،وفعل خير لا غير فليطلب كاتب وشاهد غيرهما إذا تعذر ذلك منهما لانشغالهما. وحذّر من كتمان الشهادة أو الحيف والجَوْر في الكتابة،والإضرار بالكاتب والشهيد فقال: ﴿وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم. .﴾ وأكّـد ذلـك بأمـره بتقـواه فقال: ﴿واتقوا الله. .﴾ بامتثال أمره،ونهيه لتَكْمُلوا وتسعدوا وكما علمكم هذا العلم النافع ما زال يعلمكم وهو بكل شيء عليم. هذا معنى الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه. . .﴾

هداية الآية

من هداية الآية :

١ـ وجوب كتابة الديون سواءٌ كانت بيعاً،أو شراء،أو سلفاً،أو قرضاً هذا ما قرره ابن جرير،

---

(١) الجمهور على أن اليمين تقوم مقام شاهد أي ان انعدم الشاهد الثاني قضي القاضي بالشاهد واليمين التي يحلفها المطالب بالبيّنة ومن هنا إن وجد من الشهود امرأتان فقط اعتبرتا شاهدا وزيدت اليمين وقضى القاضي بذلك، وهذا في الأموال خاصة.

(٢) نعم إذا كان في سعة من أمره فليكتب على سبيل الندب، وإن لم يوجد غيره وجب عليه أن يكتب وفي قوله: ﴿كما علمّه الله فليكتب﴾ أمر له أن يكتب الوثائق على طريقتها فلا يبدّل ولا يغيّر وفيه تذكير له بالنعمة إذ كان لايعرف الكتابة فعلمه الله إذاً فليشكر لله هذه النعمة بالكتابة لمن طلبها منه.

ورد القول بالإرشاد والندب[١].

٢ـ رعاية النعمة بشكرها لقوله تعالى للكاتب: كما علمه الله فليكتب إذ علمه الكتابة وحرم غيره منها.

٣ـ جواز النيابة في الإملاء لعجز عنه،وعدم قدرة عليه.

٤ـ وجوب العدل والإنصاف في كل شيء لا سيما في كتابة الديون المستحقة المؤجلة.

٥ـ وجوب الإشهاد على الكتابة لتأكّدها به،وعدم نسيان قدْر الدّين وأجله.

٦ـ شهود[٢] المال لا يَقِلُّون عن رجلين عدلين من الأحرار[٣] المسلمين لا غير، والمرأتان المسلمتان اللتان فرض شهادتهما تقومان مقام الرجل الواحد.

٧ـ الحرص على كتابة الديون والعزم على ذلك ولو كان الدين صغيراً تافهاً.

٨ـ الرخصة في عدم كتابة التجارة الحاضرة السلعة والثمن المدارة بين البائع والمشتري.

٩ـ وجوب الإشهاد على بيع العقارات والمزارع والمصانع مما هو ذو بال.

١٠ـ حرمة الإضرار بالكاتب[٤] والشهيد.

١١ـ تقوى الله تعالى تسبب العلم،وتُكْسِب المعْرفة[٥] بإذن الله تعالى.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) الأقرب إلى الصواب أن بعض الأمور تجب فيها الكتابة كبيع الدور والمزارع وغيرها وبعضها لا تجب وإنما تندب الكتابة لاغير.

(٢) كون الشهود لا يقلّون عن اثنين هذا عام في كل شهادة إلاّ شهادة الزنى فإنهم لا يقلون عن أربعة ابداً.

(٣) اختلف في شهادة العبيد والصبيان والجمهور على عدم جواز شهادتهم إلاّ في الأمور التافهة فلا بأس بذلك.

(٤) قوله تعالى: ﴿إذا ما دُعوا﴾ دلّ على أنّ الشهود يأتون الحاكم ليشهدوا، ودلّ على أن مَنْ لم يُدْعَ ليس عليه أن يشهد، ولكن ورد في السنة الترغيب في أداء الشهادة ولو لم يُدع إليها المسلم لاسيما إذا توقف على شهادته إثبات حق من الحقوق فقد قال رسول الله ﷺ «خير الشهود الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها» رواه الأئمة.

(٥) قوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ هو وعد منه تعالى بأن يجعل للمتقي نوراً في قلبه يفهم به ما يلقى إليه ويفرّق بين الحق والباطل يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ الأنفال.

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

شرح الكلمات :

السفر	: الخروج من الدار والبلد ظاهراً بعيداً بمسافة أربعة برد فأكثر.
ولم تجدوا كاتبا	: من يكتب لكم، أو لم تجدوا أدوات الكتابة من دواة وقلم.
فرهان مقبوضة	: فاعتاضوا عن الكتابة الرهن فليضع المدين رهناً لدى الدائن.
فإن أمن بعضكم بعضا	: فلا حاجة الى الرهن.
فليؤد المؤتمن أمانته	: أي فليعط الدين الذي أوتمن عليه حيث تعذّرت الكتابة ولم يأخذ دائنه منه رهناً على دينه.
آثم قلبه	: لأن الكتمان من عمل القلب فنسب الإثم الى القلب.
وإن تبدوا	: تظهروا.

معنى الآيتين :

لما أمر تعالى بالاشهاد والكتابة في البيوع والسّلم والقروض في الآيات السّابقة أمر هنا ـ عند تعذّر الكتابة لعدم وجود كاتب أو أدوات الكتابة وذلك في السفر ـ أمر بالاستعاضة عن الكتابة بالرهن وذلك بأن يضع المدين رهناً لدى دائنه عوضا عن الكتابة يستوثق به دينه هذا في حال عدم ائتمانه، والخوف منه، وأمّا إن أمن بعضهم بعضا فلا بأس بعدم الارتهان فقال تعالى: ﴿وإن كنتم[1] على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة[2] . . ﴾ والرهان جمع رهن[3]. وقال ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ ﴿فلم تأخذوا رهاناً﴾ ﴿فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾ في ذلك . ثم

---

(١) الرهن جائز بالكتاب وهذه الآية نصّ في الرهن في السفر وأمّا في الحضر فهو جائز بالسنة واجماع الأمّة فقد ثبت في الصحيحين أنّ النبي ﷺ اشترى من يهودي طعاماً فطلب اليهودي رهنا فرهنه درعه ﷺ فمات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعا من شعير.

(٢) قوله ﴿مقبوضة﴾ دلّ على اشتراط القبض ولو بالوكالة ولو أن عدلا من الناس وضع الرهن تحت يده جاز إذ هو معنى القبض، ويجوز رهن ما في الذمّة كأن يرهن المدين ديناً له ثابتا في ذمة مالي معترف غير منكر لأن الاستيثاق يحصل بذلك.

(٣) أصل الرهن الدوام، وشرعا: حبس عين في دَين لاستيفاء الدّين من العين أو من منافعها إذا عجز المدين عن التسديد، ويجمع الرهن على رهان، ورُهُن.

نهى تعالى نهياً جازماً الشهودَ عن كِتْمان شهادتهم فقال: ﴿ولا تكتموا الشهادة. . ﴾ وبيّن تعالى عِظَم هذا الذنب فقال: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه[1]. . ﴾ وأعلم أنه عليم بما يعملونه فيجازيهم بعلمه،وهو تهديد ووعيد منه سبحانه وتعالى لكاتمي الشهادة والقائلين بالزور فيها. هذا معنى الآية الأولى (٢٨٢) أما الآية الثانية (٢٨٣) فإنه تعالى قد أخبر بأن له جميع ما في السموات،وجميع ما في الأرض خلقًا وملكا وتصرفا،وبناءً على ذلك فإنّ من يبدي ما في نفسه من خير أو شر أو يخفه يحاسب به، ثم هو تعالى بعد الحساب يغفر لمن يشاء من أهل الإيمان والتقوى، ويعذب من يشاء من أهل الشرك والمعاصي، له كامل التصرف، لأنّ الجميع خلقه وملكه وعبيده.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ جواز أخذ الرهن في السفر والحضر توثيقا من الدائن لدينه.

٢ـ جواز ترك أخذ الرهن[2] إن حصل الأمن من سداد الدين وعدم الخوف منه.

٣ـ حرمة كتمان الشهادة والقول بالزور فيها وأن ذلك من أكبر الكبائر كما في الصحيح.

٤ـ محاسبة العبد بما يخفي في نفسه من الشك والشرك والنفاق وغير ذلك من بغض أولياء الله وحب لأعدائه، ومؤاخذته بذلك، والعفو عن الهمّ بالخطيئة والذنب دون الشك والشرك والحب والبغض من المؤمن الصادق الإيمان للحديث الصحيح الذي أخرجه الستة: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل».

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ[3] بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا

---

(١) القول محذوف أي يقولون: لا نفرّق، وهذا الحذف للقول شائع نحو ﴿الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ أي يقولون سلام عليكم، ، ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ أي يقولون ربّنا الخ.

(٢) إذا كان الرهن دابّةً تركب أو شاة تحلب أو داراً تسكن أو نخلاً بتمر فعلى المرتهن نفقة علف الدّابة والشاة، مقابل الركوب واللبن، وإن سكن الدار دفع أجرتها، وإن جزّ التمر أخذه بثمنه لحديث: «لا تغلق الرهن لصاحبه غنمه وعليه غرمه».

(٣) قال العلماء: اثم القلب: سبب مسخه.

وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

شرح الكلمات :

آمـــن : صدق جازما بصحة الخبر ولم يتردد أو يشك فيه قط.

الرســـول : نبينا محمد ﷺ.

كـــلّ : كل من الرسول والمؤمنين.

لا نفرق بين أحد من رُسله[1] : نؤمن بهم جميعاً ولا نكون كاليهود والنصارى نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

سمـــعنا : سَماعَ فهمٍ واستجابة وطاعة.

المصـــير : المرجع أي رجوعنا إليك يا ربنا فاغفر لنا.

لا يكلف الله نفسا[2] : التكليف الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتمل.

إلا وســـعها[3] : إلا ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها.

لها ما كسـبت : من الخيـــر.

وعليها ما اكتسبت : مـن الشـــر.

---

(١) قرىء ﴿ورُسْله﴾ بإسكان السين تخفيفاً، وهو شائع في تخفيف المتحرّك بالسكون نحو عُنْق.

(٢) روى القرطبي عن أبي هريرة أنه قال: ما وددت أن أحدا ولدتني أمّه إلا جعفر بن أبي طالب، فإني تبعته يوماً وأنا جائع فلما بلغ منزله فلـم يجـد فيـه سـوى نحي سمن قد بقي فيه أثارة فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما فيه من السمن والرُّب وهو يقول: ما كلف الله نفسا فوق طاقتها: ولا تجود يد إلاّ بما تجد   الرُّب بضم الراء ما يطبخ من التمر.

(٣) وسواس الصدر مما لا طاقة للعبد بدفعه بحال وقد سئل عنه النبي ﷺ فقال ما رواه مسلم عن علقمة بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال: «تلك صريح الإيمان».

لا تؤاخــذنا : لا تعاقبـنا.

إن نســينا : فتركنا ما أمرتنا به أو فعلنا ما نهيتنا عنه نسياناً منا غير عمد.

أو أخطـأنا : فعلنا غير ما أمرتنا خطأ منا بدون إرادة فعل منا له ولا عزيمة.

إصــراً[1] : تكليفا شاقا يثقل علينا ويأسرنا فيحبسنا عن العمل.

مــولانا : مالكنا وسيدنا ومتولي أمرنا لا مولى لنا سواك.

معنى الآيتين :

ورد أنه لما نزلت الآية (٢٨٤) ﴿لله ما في السموات. . ﴾ وفيها ﴿. . . وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله. . ﴾ اضطربت لها نفوس المؤمنين، وقالوا من ينجو منا إذا كنا نؤاخذ بما يُخفى في أنفسنا من الهم والوسواس وحديث النفس فأمرهم الرسول ﷺ بالرضا بحكم الله تعالى والتسليم به فقال لهم: قولوا سمعنا وأطعنا ولا تكونوا كاليهود: ﴿قالوا سمعنا وعصينا. . . ﴾ فلما قالوها صادقين أنزل الله تعالى هاتين الآيتين: ﴿آمن الرسول. . . ﴾[2] فأخبر عن ايمانهم مقروناً بإيمان نبيهم تكريما لهم وتطمينا فقال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله. . ﴾ وأخبر عنهم بقولهم الذي كان سبب استجابة الله تعالى لهم فقال عنهم: ﴿. . . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وأخبرهم تعالى أنه لرحمته بهم وحكمته في تصرفه في خلقه لا يكلف نفساً إلا ما تتسع له طاقتُها وتقدر على فعله، وإن لها ما كسبت من الخير فتجزى به خيراً وعليها ما اكتسبت من الشر فتجزى به شرّاً إلا أن يعفو عنها ويغفر لها فقال: ﴿لا يكلفُ[3] الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. . ﴾ وعلمهم كيف يدعونه ليقول لهم قد فعلت، كما صح به الخبر فقال قولوا: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[4] وفعلا

---

(١) الإصر: الأمر الغليظ الصعب أو هو الذنب الذي ليس فيه توبة ولا كفّارة ويطلق الإصر على العهد ومنه: ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي عهدي وميثاقي، لأن الإصر يطلق على الحبل الذي تربط الأحمال ونحوها.

(٢) روى مسلم عن ابن عباس لما نزلت: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم. . . ﴾ الآية قال: «دخل قلوبهم منها شيء فقال النبي ﷺ «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال فألقى الله في قلوبهم الإيمان فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل قوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها﴾ الآية.

(٣) ورد في فضل خاتمة البقرة أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «أُوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهنّ نبي قبلي».

قد عفا عنهم في النسيان والخطأ وخفف عنهم في التشريع فما جعل عليهم في الدين من حرج، وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على الكافرين بالحجة والبيان وفي المعارك بالسيف والسنان فله الحمد والمنة وهو الكبير المتعال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- تقرير أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

٢- وجوب الإيمان بكافة الرسل وحرمة الإيمان ببعض وترك البعض وهو كفر والعياذ بالله تعالى.

٣- وجوب طاعة الله ورسوله والتسليم والرضا بما شرع الله ورسوله وحرمة رد شيء من ذلك.

٤- رفع الحرج[١] عن هذه الأمة رحمة بها.

٥- عدم المؤاخذة بالنسيان[٢] أو الخطأ فمن نسي وأكل أو شرب وهو صائم فلا إثم عليه أو أخطأ فقتل فلا إثم عليه.

٦- العفو عن حديث النفس[٣] لنزول الآية فيه ما لم يتكلم المؤمن أو يعمل.

٧- تعليم هذا الدعاء واستحباب الدعاء به إئتساءً بالرسول ﷺ وأصحابه وقد ورد من قرأ هاتين الآيتين[٤] عند النوم كفتاه ﴿آمن الرسول . . .﴾[٥] السورة.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنية

وآياتها مائتا آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ

---

(١) شاهده قوله تعالى من سورة الحج: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

(٢) حديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» أي رفع اثمه. أما أحكامه ففيها تفصيل: فالغرامات لا تسقط فمن كسر آنية خطأ أو نسيانا يغرمها لصاحبها، ومن نسي صلاة مفروضة قضاها، ومن قتل خطأ دفع الدية ويسقط القصاص بالخطأ كما يسقط الكفر بالنطق خطأ وسهوا.

(٣) شاهده حديث: «إنّ الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل» رواه الجماعة.

(٤) لحديث مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» أي من قيام الليل لحديث: «من قرأها بعد العشاء مرتين أجزأتاه من قيام الليل، وكفتاه من شرّ الشيطان فلا يكون له عليه سلطان».

(٥) صدر هذه السورة إلى ثلاث وثمانين آية نزلت في وفد نجران سنة تسع من الهجرة.

بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

آلـم	: تقدم الكلام على مثله من سورة البقرة فليرجع إليه هناك .
اللـه	: المعبود بحق[1] .
لا إلـه إلا هـو	: لا معبود بحق سواه .
الحـيّ	: ذو الحياة المستلزمة للارادة والعلم والسمع والبصر والقدرة .
القيـّوم	: القيّم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ .
الكتـاب	: القـرآن .
بالحـق	: متلبّساً به إذ كل ما فيه حق وصدق لا باطل فيه بأي وجه من الوجوه .
مصدقاً لما بين يديه[2]	: من الكتب السابقة لا يخالفها ولا يبطلها لأن مصدر الجميع واحد هو الله تعالى .
التـوراة[3]	: كتاب موسى عليه السلام ومعناه بالعبرية الشريعة .[4]

(١) الله : اسم علم على ذات الربّ تبارك وتعالى ومعناه: الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ولذا فسّرناه في التفسير بأنه المعبود الحق لكونه الإله الحق الذي لا يعبد بحق غيره .

(٢) معنى بين يديه أنها تقدمته في النزول فكانت كأنها أمامه وهو وراءها وهو معنى بين يديه .

(٣) اختلف في لفظ التوراة هل هو مشتق من ورى الزند إذا أوقد به النار فهي لنور الهداية فيها سميت التوراة أو هي معربة عن كلمة (طورا) العبرية ومعنى طورا، الهدى، وعلى كل حال فهذا علم لاينفع وجهالة لا تضر .

(٤) وهي عند اليهود: خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج ، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع .

الإنجيل[1] : كتاب عيسى عليه السلام ومعناه باليونانية: التعليم الجديد. [2]

الفرقان[3] : ما فرق الله به بين الحق والباطل من الحجج القرآنية والمعجزات الإلهية والعقول النيّرة البشرية التي لم يغلب عليها التقليد والجمود والهوى.

يصوركم في الأرحام : التصوير إيجاد الصورة للشيء لم تكن له من قبل، والأرحام جمع رحم: مستودع الجنين.

معنى الآيات :

أخرج ابن جرير الطبري بأسانيد صحيحة أن وفد نجران[4] والمكون من ستين راكبا فيهم أشرافهم وأهل الحلّ والعَقْد منهم، وفدوا على رسول الله ﷺ يحاجّونه في أمر المسيح عليه السلام ويريدون أن يثبتوا الهيّته بالادعاء الباطل فأنزل الله تعالى نّيفاً وثمانين آية من فاتحة السورة الٓمٓ إلى ما يقارب الثمانين. وذلك رداً لباطلهم، وإقامة للحجة عليهم، وسيلاحظ هذا المتدبر للآيات ويراه واضحاً جليّاً في السياق القرآني في هذه الآيات.

فقد قال تعالى آلم، الله لا إله إلا هو[5] فأخبر أنه تعالى لا معبود بحق إلا هو، فأبطل عبادة المسيح عليه السلام وعبادة كل معبود سوى الله تعالى من سائر المعبودات، وقال الحيّ القيوم فذكر برهان استحقاقه للعبادة دون غيره وهو كونه تعالى حيّاً أزلاً وأبداً وكل حيّ غيره مسبوق بالعدم ويلحقه الفناء، فلذا لا يستحق الألوهية إلا هو عز وجل والمسيح عليه السلام مسبوق بالعدم ويلحقه الفناء فكيف يكون إلهاً؟ وقال تعالى القيوم أى القائم على كل الخلق بالتربية والرعاية والحفظ والتدبير والرزق، وما عداه فليس له ذلك بل هو مربوب مرزوق فكيف يكون إلهاً مع الله؟ ودليل ذلك أنه نزل عليك الكتاب: القرآن بالحق مصحوباً به ليس فيه

---

(١) الانجيل قيل معناه الأصل إذ هو أصل العلوم والحكم وجمعه أناجيل وجمع التوراة: توارٍ.

(٢) ويطلق الإنجيل على أربعة كتب: انجيل يوحنا، ومرقس، ولوقا، وبرنابا.

(٣) وفسّر الفرقان بالقرآن وهو حق لقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ وسمي فرقاناً لأنه فرّق بين الحق والباطل.

(٤) كان مجيء هذا الوفد في السنة التاسعة من الهجرة التي هي عام الوفود ولذا كان آخر السورة متقدماً في النزول عن أولها إذ آخرها كان في غزوة أحد، وكانت في السنة الثالثة.

(٥) قوله: ﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ هذه الجملة مع جملة: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم﴾ قيل ان فيهما اسم الله الأعظم.

من الباطل شيء فآياته كلها مثبتة للألوهية لله نافية لها عما سواه، فكيف يكون المسيح إلهاً مع الله أو يكون هو الله، أو ابن الله كما يزعم نصارى نجران وغيرهم من نصارى اليونان والرومان وغيرهم نزله مصدقا لما بين يديه من الكتب التى سبقته لا يخالفها ولا يتناقض معها فدل ذلك أنه وحى الله، وأنزل من قبله التوراة والإنجيل هدىً للناس وأنزل الفرقان[1] ففرق به بين الحق والباطل فى كل ما يلبس أمره على الناس فتبين أن الرب الخالق الرازق المدبر للحياة المحيى المميت الحى الذى لا يموت هو الإله الحق وما عداه مربوب مخلوق لا حق له في الألوهية والعبادة وإن شفىٰ مريضاً أو أنطق أبكم أو أحيا ميتاً بإذن الله تعالى فإن ذلك لا يؤهله لأن يكون إلهاً مع الله كعيسى بن مريم عليه السلام فإن ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء بعض الموتى كان بقدرة الله وإذنه بذلك لعيسى وإلا لما قدر على شيء من ذلك شأنه شأن عباد الله تعالى، ولما رد الوفد ما حاجهم به الرسول وأقام به الحجة عليهم تأكد بذلك كفرهم فتوعدهم الرب تعالى بقوله: ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب[2] شديد، والله عزيز ذو انتقام﴾ وهذاوعيد شديد لكل من كذب بآيات الله وجحد بالحق الذى تحمّله من توحيد الله تعالى ووجوب طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وقال تعالى: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ فلو كان هناك من يستحق الألوهية معه لعلمه وأخبر عنه، كما قرر بهذه الجملة أن عزته تعالى لا ترام وأنه على الانتقام من أهل الكفر به لقدير. وذكر دليلاً آخر على بطلان ألوهية المسيح فقال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء[3]﴾ وعيسى عليه السلام قد صُوِّر فى رحم مريم فهو قطعاً ممن صور الله تعالى فكيف يكون إذاً إلهاً مع الله أو إبناً لله كما يزعم النصارى؟ وهنا قرر الحقيقة فقال: ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ فالعزّة التى لا ترام والحكمة التى لا تخطىء هما مقتضيات ألوهيته الحقة التى لا يجادل فيها إلا مكابر ولا يجاحد فيها إلا معاند كوفد نصارى نجران ومَنْ على شاكلتهم من أهل الكفر والعناد.

---

(١) الفرقان وإن أطلق على القرآن لكونه فرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد فإنه يطلق على كل ما يفرق بين الهدى والضلال كالمعجزات، وما يحصل للمؤمن المتقي من نور يفرّق بين الضار والنافع، والخطأ والصواب.

(٢) التنوين في عذاب: للتفخيم، والشديد هو الذي لا يقادر قدره.

(٣) أي من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر، وعاهة وسلامة وسعادة وشقاء.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير ألوهية الله تعالى بالبراهين ونفي الألوهية[١] عن غيره من سائر خلقه .

٢ـ ثبوت رسالة النبي محمد ﷺ بإنزال الله تعالى الكتاب عليه .

٣ـ إقامة الله تعالى الحجة على عباده بإنزال كتبه والفرقان فيها ببيان الحق والباطل في كل شؤون الحياة .

٤ـ بطلان ألوهية المسيح لأنه مخلوق مصور في الأرحام كغيره صوره الله تعالى على ما شاء فكيف يكون بعد ذلك إلها مع الله[٢] أو ابناً له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ[٣] مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

---

(١) أي بالبراهين كذلك .

(٢) ضلال النصارى أعظم ضلال وأسواه ، إذ كيف يعقل أن يكون عيسى إلها وقد قتل وصلب في اعتقادهم ، وكيف يكون إلها وهو ابن امرأة اسمها مريم وهم يعترفون بذلك فسبحان الله أين تذهب عقول العقلاء؟

(٣) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تلا : ﴿هو الذي أنزل عليك﴾ إلى ﴿أولوا الألباب﴾ ثم قال : «إذا رأيتم الذين يبتغون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم .

شرح الكلمات :

محكمات[1] : الظاهرة الدلالة البيّنة المعنى التي لا تحتمل إلا معنى واحداً، وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر وعظات.

متشابهات : غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعان يصعب على غير الراسخين في العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب.[2] ومثل قول الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿ ..... وكلمته ألقاها إلى مريم[3] وروح منه.. ﴾ وكقوله تعالى: ﴿.. إن الحكم إلا لله، ..[4] ﴾.

في قلوبهم زيغ : الزيغ: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة.

ابتغاء الفتنة : أي طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم.

ابتغاء تأويله : طلباً لتأويله ليوافق معتقداتهم الفاسدة.

وما يعلم تأويله إلا الله : وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله.

الراسخون في العلم[5] : هم أهل العلم اليقيني في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة الحق فلا يزلّون ولا يَشْتَطّون في شبهة أو باطل.

كلٌّ من عند ربنا : أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعاً.

أولوا الألباب : أصحاب العقول الراجحة والفهوم السليمة.

ربنا لا تزغ قلوبنا[6] : أي لا تُمل قلوبنا عن الحق بعدما هديتنا إليه وعرّفتنا به فعرفناه.

هب لنا من لدنك : أعطنا من عندك رحمة.

---

(١) قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما المحكمات أي في القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، و المتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه.

(٢) قال بعضهم وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال ونزول عيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور.

(٣) سورة النساء (١٧١).

(٤) سورة الأنعام (٥٧).

(٥) روي أن النبي ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال: «هو مَنْ برّت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه».

(٦) سئلت أم سلمة رضي الله عنها في حديث حسن رواه الترمذي عن ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ عندها فقالت: «كان أكثر دعائه: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك».

معنى الآيات :

ما زال تعالى يقرر ربوبيته وألوهيته ونبوّة رسوله ويبطل دعوى نصارى نجران في ألوهية المسيح عليه السلام فيقول: هو أي الله الحي القيوم الذي أنزل عليك الكتاب، أي القرآن، منه آيات محكمات، لا نسخ فيها ولا خفاء في معناها ولا غموض في دلالتها على ما نزلت فيه وهذه معظم آي الكتاب وهي أمّه وأصله، ومنه آيات أخر متشابهات وهي قليلة والحكمة من إنزالها كذلك الامتحان والاختبار كالامتحان بالحلال والحرام، وبأمور الغيب ليثبت على الهداية والإيمان من شاء الله هدايته، ويزيغ في إيمانه ويضل عن سبيله من شاء الله تعالى ضلاله وعدم هدايته. فقال تعالى: ﴿فأمّا الذين في قلوبهم زَيْغ . .﴾ أي ميل عن الحق ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ للخروج به عن طريق الحق وهداية الخلق كما فعل النصارى حيث ادعوا أن الله ثالث ثلاثة لأنه يقول نخلق ونحيي، ونميت وهذا كلام جماعة فأكثر، وكما قالوا في قوله تعالى في شأن عيسى: ﴿. . وروح منه . .﴾[1] أنه جزء منه متحد به وكما قال الخوارج في قوله تعالى ﴿. . إن الحكم إلا لله . .﴾[2] فلا يجوز لأحد أن يحكم في شيء وكفروا عليّا وخرجوا عنه لتحكيمه[3] أبا موسى الأشعري في حقيقة الخلاف بين علي ومعاوية وهكذا يقع أهل الزيغ في الضلال حيث يتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم فيظهر لهم معناه ويفهمون مراد الله تعالى منه. وأخبر تعالى أنه لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه وتعالى. وأن الراسخين[4] في العلم يُفَوِّضون أمره إلى الله منزله فيقولون: ﴿. . آمنا به[5] كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[6]، ويسألون ربهم الثبات

---

(١) سورة النساء (١٧١).

(٢) سورة الأنعام (٥٧).

(٣) روي أن أبا أمامة رضي الله عنه مرّ برؤوس منصوبة عند باب مسجد دمشق فسأل عنها فقيل إنها رؤوس خوارج جيء بها من العراق فقال: أولئك كلاب النار ثلاثاً شر قتلى تحت ظل السماء طوبى لمن قتلهم ثلاثاً ثم بكى، فقيل ما يبكيك فقال رحمة بهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه ثم قرأ: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى ﴿أولوا الألباب﴾.

(٤) روي أن ابن عباس رضي الله عنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: تفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله. كما يروى هذا عن عائشة وغيرها.

(٥) الجمهور على أنّ الوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله﴾ ومن هنا قالوا: لا يعلم المتشابه إلاّ الله، وهو مما استأثر به دون عباده، ومن قال: إنّ قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ معطوف على قوله ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله﴾ قالوا: إنّ الراسخين في العلم قد يعلمون بعض المتشابه دون البعض ويدلّ عليه قولهم ﴿كل من عند ربّنا﴾ أي ما علمناه وما لم نعلمه، وروَوا أنّ ابن عباس قال أنا ممن يعلم تأويله.

(٦) هذه الجملة ليست من كلام الراسخين ولكنها من كلام الله تعالى فهي تذييل للكلام السابق سيقت للثناء عليهم.

على الحق فيقولون: ﴿. . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة. . ﴾ ترحمنا بها في دنيانا وأخرانا إنك أنت وحدك الوهاب، لا إله غيرك ولا ربّ سواك، ويقررون مبدأ المعاد والدار الآخرة فيقولون سائلين ضارعين ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم فاغفر لنا وارحمنا يومئذ حيث آمنا بك وبرسولك وبكتابك محكم آيه ومتشابهه، إنك لا تخلف الميعاد.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١- في كتاب الله المحكم والمتشابه، فالمحكم يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه، والمتشابه يجب الإيمان به ويفوض أمر تأويله إلى الله منزله ويقال: ﴿. . آمنا به كلّ من عند ربّنا. . ﴾.

٢- أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه[1] يجب هجرانهم والإعراض عنهم لأنهم مبتدعة وأهل أهواء.

٣- استحباب الدعاء بطلب النجاة عند ظهور الزّيغ ورؤية الفتن[2] والضلال.

٤- تقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ

---

(١) قال أهل العلم: التشابه يكون حقيقياً وإضافيا فالحقيقي لا سبيل إلى فهم معناه وهو المراد من الآية ﴿لا يعلم تأويله إلا الله﴾ والإضافي: ما اشتبه معناه لاحتياجه إلى طلب دليل آخر، فإذا طلبه العالم وجده وهو كثير. منه قوله تعالى: ﴿إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ فهذا يبين معناه: ﴿وإني لغفّار لمن تاب﴾.

(٢) روي أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أيام حروب الردّة كان يصلي المغرب فيقرأ بالفاتحة وسورة من قصار المفصل وفي الركعة الثالثة يقرأ بأم القرآن ويقرأ قوله تعالى سرًا: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب﴾ يقنت بها. كما روي عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلاّ أنت سبحانك استغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ[1] رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

إن الذين كفروا : هم وفد نجران ويهود المدينة والمشركون والمنافقون .

لن تغني عنهم : لن تجزي عنهم ولن تقيهم عذاب الله إذا حلّ بهم .

وقود النـار : الوقود ما توقد به النار من حطب أو فحم حجري أو غاز.

كدأب آل فرعون : كعادتهم وسنتهم في كفرهم وتكذيبهم وما حل بهم من عذاب في الدنيا والآخرة .

قل للذين كفروا[2] : هم يهود المدينة بنو قَيْنُقَاع .

آية في فئتين[3] : علامة واضحة والفئتان : المسلمون وقريش إلتقتا في بدر.

يؤيد بنـصره : يُقـــوّي .

عبرة لأولي الأبصار: العبرة العظة وما يَعْبُر به ذو البصيرة مواضع الخطر فينجو.

معنـى الآيات :

لما أصَرّ وفد نجران على الكفر والتكذيب واتباع المتشابه من آي الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل من الحق والخروج عنه . توعّد الرب تعالى جنس الكافرين من نصارى ويهود وعرب وعجم فقال ﴿إن الذين كفروا . . ﴾ بالحق لما جاءهم وعرفوه معرفة لا لبس فيها ولا

---

(١) الضمير عائد على المسلمين على أسلوب الالتفات، والأصل ترونهم مثليكم، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على المشركين، ولكن الصواب أنّه عائد على المؤمنين، لأنّ الله تعالى قلّل المشركين في أعين المؤمنين ليقدموا على قتالهم .

(٢) استئناف ابتدائي للانتقال من النذارة إلى التهديد حيث تطلب المقام ذلك إذ تبجّح اليهود وتطاولوا على رسول الله ﷺ مخوفين له بكلامهم السخيف.

(٣) الفئة : الجماعة من الناس وسميت فئة لأنه يفاء إليها أي يرجع إليها في وقت اشتداد الحرب .

غموض ولكن منعهم من قبوله الحفاظ على المناصب والمنافع هؤلاء جميعهم سيعذبهم الله تعالى في نار جهنم ولن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا، واعلم أنهم وقود النار، التي مهدوا لها بكفرهم وبئس المهاد مهدوه لأنفسهم. ثم أخبر تعالى أنهم في كفرهم وعنادهم حتى يأتيهم العذاب كدأب وعادة آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم التيْ كذبت رسلها كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح حتى أخذهم الله بالعذاب في الدنيا بالهلاك والدمار، وفي الآخرة بعذاب النار وبئس المهاد، وكان ذلك بذنوبهم لا بظلم الله تعالى ثم أمر الله تعالى رسوله محمد ﷺ أن يقول ليهود المدينة الذين قالوا للرسول لا يغرنك أنك قاتلت من لا يحسن الحرب فانتصرت عليهم يريدون قريشاً في موقعة بدر، إنك إن قابلتنا ستعلم أنا نحن الناس، لما قالوا قولتهم هذه يهددون بها رسول الله ﷺ والمسلمين أمره أن يقول لهم[1]﴿ستغلبون﴾ يريد في المعركة وتنهزمون وتموتون، وبعد موتكم تحشرون إلى جهنم وبئس المهاد جهنم مهدتموها لأنفسكم بكفركم وعنادكم وجحودكم للحق بعد معرفته. وفَتح أعينهم على حقيقة لو تأملوها لما تورطوا في حرب الرسول حتى هزمهم وقتل من قتل منهم وأجلى من أجلاهم. وهي أن المسلمين الذين قاتلوا المشركين في بدر وانتصروا عليهم كانوا أقلّ عدد وأنقص عدة، ومع ذلك انتصروا لأنهم يقاتلون في سبيل الله والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت والشرك والظلم والطغيان ونصر الله الفئة القليلة المسلمة[2] وهزم الفئة الكافرة الكثيرة فلو اعتبر اليهود بهذه الحقيقة لما تورطوا في حرب مع الرسول ﷺ أبداً. ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهي البصائر. فقال تعالى لهم: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا﴾ - في بدر - فئة - جماعة - تقاتل في سبيل الله - إعلاء لكلمته - وأخرى فئة كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ﴿يرونهم[3] مثليهم

(١) فعلا فقد جمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

(٢) إذ كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وكان عدد المشركين رابيا على التسعمائة مقاتل.

(٣) رأى المسلمون الكافرين مثليهم أي مثلي عدد المسلمين وهذا معنى التقليل إذ الكافرون تسعمائة فرأوهم ستمائة وهو التقليل المذكور.

رَأْيَ العين﴾ لقربهم منهم. ومع هذا نصر الله الأقلية المسلمة وهزم الأكثرية الكافرة، وذلك لأن الله تعالى يؤيد بنصره من يشاء، فأيد أولياءه وهزم أعداءه، وإن في هذه الحادثة لعبرة وعظة ومتفكر ولكن لمن كان ذا بصيرة، أما من لا بصيرة له فإنه لا يرى شيئاً حتى يقع في الهاوية قال تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور لهم: ﴿.. لعبرة لأولى الأبصار﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ الكفر مورِّث لعذاب يوم القيامة والكافر معذَّب قطعاً.

٢ـ الأموال والأولاد والرجال والعتاد مهما كثروا لن يغنوا من بأس الله شيئاً إذا أراده بالكافرين في الدنيا والآخرة.

٣ـ الذنوب بريد العذاب[1] العاجل والآجل.

٤ـ ذم الفخر والتعالي وسوء عاقبتهما.

٥ـ العاقل من اعتبر بغيره، ولا عبرة لغير أولى الأبصار أى البصائر.

٦ـ صدق خبر القرآن فى ما أخبر به اليهود من هزيمتهم، فكان هذا دليل صدق على أن القرآن وحى الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الاسلام دين الله الحق.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

شـرح الكلـمات:

زيّن للناس[2] حب الشهوات: جعل حبها مستحسناً فى نفوسهم لا يرون فيه قبحا ولا دمامة.

---

(١) شاهده من كتاب الله تعالى: ﴿من يعمل سوءً يجز به﴾ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

(٢) روى البخاري أن عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية: ﴿زيّن للناس حب...﴾ الخ قال: الآن يا رب حين زينتها لنا فأنزل الله تعالى: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم...﴾ الآية.

الشـهوات[1] : جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعاً وغريزة كالطعام والشراب اللذيذين.

القناطير المقنطرة : القنطار الف ومائة أوقية فضة والمقنطرة الكثيرة بعضها فوق بعض.

الخيل المسومة[2] : ذات السمات الحسان والمعدة للركوب عليها للغزو والجهاد.

الانعـــام : الابل والبقر والغنم وهى الماشية.

الحـــرث[3] : الزروع والحقول وسائر النباتات النافعة.

ذلك متاع الحياة الدنيا : أي ذلك المذكور من النساء والبنين الخ متاع الحياة الدنيا يريد يستمتع به فيها ويموت صاحبها ويتركها.

معنى الآيـة الكريمة :

لما ذكر تعالى عناد من كفر من النصارى، واليهود، والمشركين، وجحودهم، وكفرهم، ذكر علة الكفر وبيّن سببه ألا وهو ما زينه تعالى لبنى البشر عامة ليفتنهم فيه ويمتحنهم به وهو حب الشهوات أى المشتهيات بالطبع البشرى من النساء[4] والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضـة والخيل المسومة والأنعام والحرث وهو كل ما يحرث من سائر الحبوب والنباتات الغذائية والعطرية وغيرها. هذا الذى جعل تلك الجماعات ترفض الحق وتدفعه لأنه يحول بينهم وبين هذه المشتهيات غالباً فلا يحصلون عليها، ولم يعلموا انها مجرد متاع زائل فلا يبيعوا بها الجنة دار الخلد والسلام ولذا قال تعالى ذلك اى ما ذكر من أصناف المحبوبات متاع الحياة الدنيا لاغير اما الآخرة فلا ينفع فيها شىء من ذلك بل لا ينفع فيها الا الزهد فيه والإعراض عنه إلا ما لابد منه لِلْبُلْغَةِ بِهِ إلى عمل الدار الآخرة وهو الإيمان وصالح الأعمال، والتخلى عن الكفر والشرك وسائر الذنوب والمعاصى.

---

(١) في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» ومعناه أن الجنة لا تنال إلا بقطع مغاور المكاره والصبر عليها، و انّ النار لا ينجي منها إلاّ ترك الشهوات وفطام النفس عنها.

(٢) ما ذكرناه مأخوذ من السومة وهي السمة أي العلامة وقدتكونالمسومةمأخوذ من السوم وهي الرعي في المرعى يقال أسام الماشية إذا رعى بها في المرعى. والخيل مؤنثة.

(٣) الحرث مصدر أطلق علي المحروثات نفسها من المزارع والحدائق.

(٤) روى الشيخان عنه ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء» وفي حديث آخر: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإنّ أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء» رواه مسلم.

وختم تعالى الآية بقوله مرغبا فى العمل للدار الآخرة داعيا عباده الى الزهد فى المتاع الفانى لتتعلق قلوبهم بالنعيم الباقى فقال: ﴿والله عنده حسن المآب﴾، أي المرجع الحسن، والنزل الكريم والجوار الطيب السعيد.

هداية الآية

من هداية الآية:

١- يزين الله تعالى بمعنى يجعل الشىء زَيْناً محبوباً للناس للابتلاء والاختبار قال تعالى: ﴿انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾[(١)] ويزين الشيطان للاضلال والاغواء، فالله يزين الزين ويقبح القبيح، والشيطان يزين القبيح، ويقبح الزين. فانظر الفرق وتأمل.

٢- المزينات فى هذه الآية من تزيين الله تعالى للابتلاء، وكلها زينة فى الواقع وليس فيها قبيح إلا إذا طلبت من غير حلّها وأخذت بشَره ونهم فأفسدت أخلاق آخذها أو طغت عليه محبتها فأنسته لقاء الله وما عنده فهلك بها كاليهود والنصارى والمشركين.

٣- كل ما في الدنيا مجرد متاع والمتاع دائما قليل وزائل فعلى العاقل ان ينظر اليه كما هو فلا يطلبه بما يَحْرِمُه حسنَ المآب[(٢)] عند الله. اللهم لا تحرمنا حسن مآبك يا الله يا رحمن يا رحيم.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)﴾

---

(١) سورة الكهف (٧).

(٢) المآب: المرجع يقال: آب يؤوب أوباً، ومآباً، وإياباً إذا رجع ومنه قول امرىء القيس:

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

والمراد بالمآب: ما أعده الله تعالى لأوليائه من النعيم المقيم في دار السلام.

شرح الكلمات :

أؤنبئكم[1] : أخبركم بنبأ عظيم لأن النبأ لا يكون إلا بالأمر العظيم.

بخير من ذلكم : أى المذكور فى الآية السابقة من النساء والبنين الخ.

اتقوا : خافوا ربهم فتركوا الشرك به ومعصيته ومعصية رسوله.

من تحتها الأنهار : من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء[2]، وأنهار اللبن وأنهار العسل وأنهار الخمر.

خالدين فيها أبدا : مقيمين فيها اقامة لا يرحلون بعدها أبدا.

أزواج مطهرة : زوجات هى الحور العين نقيات من دم الحيض والبول وكلّ أذى وقذر.

الصابرين : على الطاعات لايفارقونها وعلى المكروه لا يتسخطون، وعن المعاصى لا يقارفونها.

الصادقين : فى إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم.

القانتين : العابدين المحسنين الداعين الضارعين.

والمنفقين : المؤدين الزكاة والمتصدقين بفضول أموالهم.

المستغفرين[3] **بالأسحار** : السائلين ربهم المغفرة فى آخر الليل وقت السحور.

معنى الآيات :

لما بيّن تعالى ما زينه للناس من حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة إلى آخر ما ذكر تعالى، وبين أن حسن المآب عنده سبحانه وتعالى فلْيُطْلَبْ منه بالايمان والصالحات أمر رسوله أن يقول للناس كافة اؤنبئكم بخير من ذلكم المذكور لكم. وبينه بقوله: ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها

---

(١) يصح أن يكون منتهى الاستفهام قوله تعالى: ﴿من ذلكم﴾ و﴿للذين اتقوا﴾ خبر مقدم، وجنات: المبتدأ، ويصح أن يكون منتهى الاستفهام ﴿عند ربهم﴾ وجنات: خبر، والمبتدأ محذوف.

(٢) شاهد هذا في قوله تعالى من سورة محمد ﷺ: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى﴾.

(٣) المختار من ألفاظ الاستغفار ما رواه البخاري: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت» وقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك عملت سوءًا وظلمت ونفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وأزواج مطهرة ورضوان من الله . . . ﴾ وهو رضاه عز وجل عنهم[1] وهو أكبر من النعيم المذكور قبله قال تعالى فى آية أخرى[2]: ﴿ورضوان من الله أكبر. . .﴾

ثم أخبر تعالى أنه بصير بعباده يعلم المؤمن الصادق والمنافق الكاذب، والعامل المحسن والعـامل المسيىء وسيجزى كلا بعدله وفضله، ثم ذكر صفات المتقين التي ورثوا بها ما وصف من النعيم فقال: ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ فذكر صفة الايمان والخشية والضراعة والدعاء لهم ثم ذكر باقى الصفات الكمالية فقال: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾، يتهجدون آخر الليل وقبيل طلوع الفجر يكثرون من الاستغفار وهو طلب المغفرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا مهما كان.

٢ـ نعيم الآخرة خاصّ بالمتقين الأبرار، ونعيم الدنيا غالباً ما يكون للفجّار.

٣ـ التقوى وهى ترك الشرك والمعاصى هى العامل الوراثي لدار السلام.

٤ـ استحباب الضراعة والدعاء والاستغفار فى آخر الليل[3].

٥ـ الصفات المذكورة لأهل التقوى هنا كلها واجبة فى الجملة لايحِلّ ان لا يتصف بها مؤمن ولا مؤمنة فى الحياة.

شَهِدَ[4] ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ[5] قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ

---

(١) هي قوله تعالى من سورة التوبة: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.

(٢) أخرج مسلم عنه ﷺ «انّ أهل الجنة إذا دخلوها يقول الله تعالى لهم: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

(٣) شاهده ما رواه الأئمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأوّل فيقـول أنـا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» رواه مسلم.

(٤) روى الكلبي ونقل ذلك القرطبي فقال: «لما ظهر رسول الله ﷺ قدم عليه حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه. ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت فقالا له: أنت محمد؟ قال نعم قالا وأنت أحمد؟ قال نعم. قالا نسألك عن شهادة فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدّقناك فقال لهما رسول الله ﷺ اسألاني فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ الآية.

(٥) في عطف شهادة أولي العلم على شهادة الله تعالى شرف كبير لأولي العلم، وفي الحديث: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء»، «العلماء أمناء الله على خلقه».

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ[1] عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

شهد : أخبر عن علم بحضوره الأمر المشهود به .

لا إله إلا هو : لا معبود بحق فى الأرض ولا في السماء إلا الله تبارك وتعالى .

أولو العلم : أصحاب العلم الصحيح المطابق للواقع وهم الأنبياء والعلماء .

القسط : العدل في الحكم والقول والعمل .

العزيز الحكيم : الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله وسائر تصرفاته .

الدين : ما يدان لله تعالى به أي يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات .

الإسلام[2] : الإنقياد لله بالطاعة والخلوص من الشرك والمراد به هنا ملة الإسلام .

بغياً : ظلما وحسداً .

حاجوك : جادلوك وخاصموك بحجج باطلة واهية .

---

(١) ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ صيغة حصر أي حصر المسند إليه الذي هو الدين في المسند الذي هو الإسلام أي لا دين إلّا الإسلام وقد أكّد هذا الحصر أيضاً بحرف التوكيد إنّ، والمعنى : إنّ الدين الصحيح هو الإسلام لا غيره .

(٢) حقيقة الإسلام الشرعية : أنه اعتقاد الحق والنطق به ، والعمل بموجبه عبادة وخلقا وحكما حتى تكون حياة المسلم كلها وفق مراد الله تعالى منه وما دعاه إليه وخلقه من أجله .

أسلمت وجهي لله : أخلصت كل أعمالي القلبية والبدنية لله وحده لا شريك له.

ومن اتبعن : كذلك اخلصوا لله كل أعمالهم له وحده لا شريك له.

أوتوا الكتاب : اليهود والنصارى.

الأميين : العرب المشركين سُمّوا بالأميين لِقِلة مَنْ يقرأ ويكتب فيهم.

أأسلمتم : الهمزة الأولى للإستفهام والمراد به الأمر أي أسلموا خيراً لكم لظهور الحق وانبلاج نوره بينكم بواسطة كتاب الله ورسوله ﷺ.

فإن أسلموا : فإن أجابوك وأسلموا فقد اهتدوا إلى سبيل النجاة.

وإنْ تولوا : أدبروا عن الحق بعد رؤيته وأعرضوا عنه بعد معرفته فلا يضرك أمرهم إذ ما عليك الا البلاغ وقد بلّغت.

معنى الآيات :

يخبر الجبار عز وجل أنه[1] شهد أنه لا إله إلا هو وأن الملائكة وأولى العلم يشهدون كذلك شهادة علم وحق قامت على مبدأ الحضور الذاتى والفعلى وأنه تعالى قائم في الملكوت كله، علويّه وسفليّه، بالعدل، فلا رب غيره ولا إله سواه، العزيز في ملكه وخلقه الحكيم في تدبيره وتصريفه فلا يضع شيئاً في غير موضعه اللائق به. فرد بهذه الشهادة على باطل نصارى نجران، ومكر اليهود، وشرك العرب، وأبطل كلّ باطلهم سبحانه وتعالى، ثم أخبر أيضاً أن الدين الحق الذي لا يقبل تعالى ديناً سواه، هو الاسلام، القائم على مبدأ الانقياد الكامل لله تعالى بالطاعة، والخلوص التامّ من سائر أنواع الشرك فقال: ﴿إن الدين عند الله﴾ في حكمه وقضائه الإسلام، وما عداه فلا يقبله[2] ولا يرضاه. ثم أخبر تعالى عن حال نصارى نجران، المجادلين لرسوله، في شأن تأليه عيسى بالباطل فقال ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ يريد أن خلاف أهل الكتاب لم يكن عن جهل منهم بالحق ومعرفته[3] ولكن كان عن علم حقيقى وإنما حملهم على الخلاف المسبب للفتن

---

(١) ورد أن من قال عند تلاوة هذه الآية: ﴿شهد الله﴾ الخ وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ـ يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول عزّ وجل: عبدي عهد إلّي وأنا أحق من وفّى بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة».

(٢) روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بما أرسلت به إلّا كان من أهل النار».

(٣) يشهد لهذه الحقيقة ما رواه البخاري «إن غلاما يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعله فمرض فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قائم عند رأسه فقال له النبي ﷺ يا فلان قل لا إله إلّا الله فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أخرجه بي من النار».

والحروب وضياع الدين البغي والحسد إذ كل فرقة تريد الرئاسة والسلطة الدينية والدنيوية لها دون غيرها، وبذلك يفسد أمر الدين والدنيا، وهذه سنة بشرية تورط فيها المسلمون[١] بعد القرون المفضلة أيضاً، والتاريخ شاهد. ثم قال تعالى ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ يتوعد تعالى ويهدد كل من يكفر بآياته الحاملة لشرائعه فيجحدها ويعرض عنها فإنه تعالى يحصي عليه ذنوب كفره وسيآت عصيانه ويحاسبه بها ويجزيه وإنه لسريع الحساب لأنه لا يشغله شيء عن آخر ولا يعييه إحصاء ولا عدد ثم يلتفت بالخطاب إلى رسوله قائلا له فإن حاجوك يريد وفد نجران النصراني فاختصر الحجاج معهم بإظهار موقفك المؤيس لهم داعياً إياهم إلى الإسلام الذي عرفوه وأنكروه حفاظاً على الرئاسة والمنافع بينهم فقل لهم: ﴿أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ أيضاً أسلم وجهه لله فليس فينا شيء لغير الله وقلوبنا وأعمالنا وحياتنا كلها لله فأسلموا[٢] أنتم يا أهل الكتاب ويا أميّون ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ وإن تولوا وأعرضوا فلا يضرك إعراضهم، إذ ما كلفت إلا البلاغ وقد بلغت، أما الحساب والجزاء فهو إلى الله تعالى البصير بأعمال عباده العليم بنياتهم وسوف يجزيهم بعلمه ويقضي بينهم بحكمه وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- اعتبار الشهادة والأخذ بها إن كانت قائمة على العلم وكان الشاهد أهلاً لذلك بأن كان مسلمًا عدلاً.

٢- شهادة الله أعظم شهادة تثبت بها الشرائع والأحكام وتليها شهادة الملائكة وأولي العلم.

٣- بطلان كل دين بعد الإسلام وكل ملة غير ملته لشهادة الله تعالى بذلك وقوله: ﴿.. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الآية (٨٥) من هذه السورة والآتي تفسيرها إن شاء الله تعالى.

٤- الخلاف بين أهل العلم والدين يتم عندما يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة فيتورطون في

---

(١) وما زال المسلمون متفرّقين إلى اليوم بل تفرقهم اليوم أسوأ من الأوّل ودولهم دويلات وشريعتهم التي يسوسون بها الأمة المسلمة شرائع.

(٢) روى محمد بن اسحق أن وفد نجران لما دخلوا مسجد رسول الله ﷺ تكلم منهم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما» قالا: قد أسلمنا قبلك فرد عليهم رسول الله ﷺ قائلا: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب».

المطاعم والمشارب، ويتشوقون إلى الكراسى والمناصب، ويرغبون فى الشرف يومئذ يختلفون بغياً بينهم وحسداً لبعضهم بعضاً.

٥ـ من أسلم قلبه لله وجوارحه وأصبح وقفاً في حياته على الله فقد اهتدى إلى سبيل النجاة والسلام.

٦ـ من علق قلبه بالحياة الدنيا وأعرض عما يصرفه عنها من العبادات ضل في حياته وسعيه وحسابه على الله وسيلقى جزاءه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات:

يكفرون : يجحدون ويكذّبون.

النبيين : جمع نبي وهو ذكر من بني آدم أوحي إليه الله تعالى.

القسط : العدل والحق والخير والمعروف.

بشرهم بعذاب أليم : أخبرهم إخباراً يظهر أثره على بشرة وجوههم ألماً وحسرة.

حبطت أعمالهم : بطَلَت وذهبت، لم يجنوا منها شيئاً ينفعهم، ويهلكون بذلك ويعدمون الناصر لهم لأن الله خذلهم وأراد إهلاكم وعذابهم في جهنم.

معنى الآيتين:

ما زال السياق في هَتْك أستار الكفرة من أهل الكتابين اليهود والنصارى فذكر تعالى هنا ان الذين يكفرون[1] بآيات الله وهي حججه وأعلام دينه، وما بعث بها رسله، ويقتلون مع

(١) جيء بالأفعال المضارعة في صلات الذين يكفرون يقتلون النبيين ويقتلون الخ لاجل استحضار الحالة الفظيعة من جهة، ومن جهة أخرى كشف عن نيات اليهود فإنهم ما زالوا مصرّين على قتل الأنبياء، وكيف وقد حاولوا قتل النبي ﷺ غير مرّة.

ذلك النبيين بغير حق[1] ولا موجب للقتل، ويقتلون الذين يأمرونهم[2] بالعدل من أتباع الأنبياء المؤمنين الصالحين، هذه جرائم بعض أهل الكتاب فبشرهم بعذاب أليم، ثم أخبر أن أولئك البعداء في مهاوي الشر والفساد والظلم والعناد حبطت أعمالهم في الدنيا فلا يجنون منها عاقبة حسنة ولا مدحاً ولا ثناءً بل سُجلت لهم بها عليهم لعنات في الحياة والممات، والآخرة كذلك وليس لهم فيها من ناصرين ينصرونهم فيخلصونهم من عذاب الله وهيهات هيهات أن يوجد من دون الله ولي أو نصير.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ الكفر والظلم من موجبات هلاك الدنيا ولزوم عذاب الآخرة.

٢ـ قتل الآمرين بالمعروف[3] والناهين عن المنكر كقتل الأنبياء في عِظَم الجُرْم.

٣ـ الشرك محبط للأعمال مفسد لها في الدنيا والآخرة.

٤ـ من خذله الله تعالى لا ينصره أحد، ومن ينصره الله لا يغلبه أحد.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ

---

(١) بغير حق: حال مؤكدة إذ لا يقع قتل نبي إلّا بغير حق فقتلهم الأنبياء متأكد وهو قبيح وكونه بغير حق هو أشد قبحاً، والآية تشنيع لأفعالهم القبيحة.

(٢) روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن أبي عبيدة رضي الله عنه «قال: قلت يا رسول الله أيُّ الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيّا أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر ثمّ قرأ الآية: ﴿إنّ الذين يكفرون﴾ الخ ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيّا أوّل النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من عبّاد بني اسرائيل فأمروا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله تعالى».

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره الرواية التالية: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء إمام عادل لا يظلم، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرصون على طلب العلم والقرآن ونساؤهم مستورات لا يتبرّجن تبرج الجاهلية الأولى وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم من قبلكم قلنا يارسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رُذالتكم الرذالة كالحثالة ومعناه فيمن لا خير فيهم.

﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

شرح الكلمات :

أوتوا نصيبا من الكتاب : اعطوا حظا وقِسْطا من التوراة .

يدعـــون : يُطلب[1] إليهم أن يتحاكموا فيما اختلفوا فيه من الحق إلى كتابهم الذي يؤمنون به وهو التوراة فيأبون ويعرضون .

يتولـــى : يرجع وهو مصمم على عدم العودة إلى الحق .

اياما معدودات : هذا قول اليهود ويعنون بالأيام الأربعين يوماً تلك التي عبدوا فيها العجل بعد غياب موسى عليه السلام عنهم .

يفتـــرون : يكـــذبون .

ليوم لا ريب فيه : هو يوم القيامة .

ما كسبت : ما عملت من خير أو شر .

لا يظلمـــون : بأن يعذبوا بدون المقتضي لعذابهم من الشرك والكفر والمعاصي .

معنى الآيات :

مازال السياق فى فضح أهل الكتاب بذكر ذنوبهم وجرائمهم فيقول تعالى لرسوله حاملاً له على التعجب من حال اليهود ألم تر يا رسولنا الى الذين أوتوا نصيباً[2] من الكتاب أى ألم ينته إلى علمك أمرهم حيث يدعون إلى التحاكم[3] الى كتاب الله تعالى فيما انكروه[4] واختلفوا فيه من صفاتك وشأن نبُوَّتك ورسالتك، ثم يتولى عدد منهم وهم مصممون على عدم العودة وطلب الحق والإقرار به. إنها حال تدعو الى التعجب حقاً، وصارفهم عن قبول الحق

---

(١) قال ابن عباس : هذه الآية نزلت بسبب أنّ رسول الله ﷺ دخل على يهود في بيت المدراس فدعاهم إلى الاسلام فقالوا له على أيّ دين أنت؟ فقال على ملّة ابراهيم، فقالوا إنّ ابراهيم كان يهوديا فقال النبي ﷺ هلّموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبوا عليه فنزلت هذه الآية .

(٢) التنكير للتقليل وليس للتعظيم لأنّ السياق في ذمّهم وتقبيح سلوكهم .

(٣) الآية دليل على وجوب من دعي إلى التحاكم إلى شرع الله أن يجيب إلى ذلك ولا يمتنع وإلاّ يقدح في إيمانه .

(٤) أي من كون ابراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا، حيث زعموا أنه كان يهوديا كما تقدّم في بيان سبب نزول الآية : ﴿ألم تر إلى الذين. . .﴾ .

ومراجعته هو اعتقادهم الفاسد بأن النار لا تمسهم إذا ألقوا فيها إلا مدة أربعين يوما وهي المدة التي عبد فيها أسلافهم العجل يوم غاب موسى عنهم لمناجاته ربه تعالى في جبل الطور. وهذه الدعوى باطلة لا أساس لها من الصحة بل يُخلدون في النار لا بعبادة أسلافهم العجل أربعين يوماً بل بكفرهم وظلمهم وجحودهم وعنادهم، ويبين تعالى الحقيقة لرسوله والمؤمنين وهي أن هذه الدعوى اليهودية ما هى إلا فرية[1] افتراها علماؤهم ليهوّنوا عليهم ارتكاب الجرائم وغشيان عظائم الذنوب. كما حصل للمسلمين فى القرون المظلمة من تاريخ الإسلام حيث أصبح مشايخ التصوف يُدَجّلون على المريدين بأنهم سيستغفرون لهم ويغفر لهم. ثم قال تعالى مستعظمًا حالهم مهوّلاً موقفهم: فكيف[2] أي حالهم. إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وهو يوم القيامة كيف تكون حالهم انها حال يعجز الوصف عنها، ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم إن كانت لهم حسنات، ولا بالزيادة فى سيئآتهم وما لهم إلا السّيئات.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ من الإعراض عن الدين والكفر به رفض التحاكم إليه قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾. سورة النساء/٦٥.

٢ـ أفسد شيء للأديان بعقائدها وشرائعها وعباداتها الافتراء فيها والإبتداع عليها والقول فيها بغير علم.

٣ـ مضرّة الإغترار بما يقوله بعض المفسرين والمحشين على الكتب الدينية من الحكايات والأباطيل بحجة الترغيب أو الترهيب فيغتر بها الناس فيضلوا ويهلكوا.

٤ـ فضيلة ذكر أهوال يوم القيامة وما يلاقى فيها أهل الظلم والشر والفساد وفي القرآن ﴿إنا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ سورة ص/٤٦.

---

(١) ومن جملة افتراءاتهم قولهم إنّ الله وعد يعقوب أن لا يعذب أبناءه.

(٢) هذا خطاب للنبي ﷺ وأمته على جهة التوقيف والتعجب.

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

اللهم : يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوّض عنه الميم المشدّدة وهو خاصّ بنداء الله تعالى

مالك : المالك: الحاكم المتصرّف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد لعظم سلطانه وقوة إرادته.

الملك : المملوك: والمقصود به ما سوى المالك عز وجل، من سائر الكائنات.

تؤتي الملك : السلطان والتصرف فى بعض الملكوت.

تولج الليل في النهار : تدخل الليل في النهار فلا يبقى ليل، وتولج النهار في الليل فلا يبقى نهار

تخرج الحي من الميت : أي تخرج جسمًا حياً من جسم ميت فى المحسوسات كالدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن المعنويات تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.

بغير حساب[1] : بغير عدد ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه.

(١) الرزق هو كل ما ينتفع به الإنسان فيطلق على الطعام على اختلافه من حبّ وتمر ولحم وعلى كل ما يحتاج إليه الإنسان في حفظ بنيته صالحة للعبادة.

معنى الآيتين :

من المناسبات التى قيلت في نزول هاتين الآيتين: أن الرسول ﷺ لما أخبر أصحابه أن ملك أمته سيبلغ كذا وكذا فى أحاديث صحاح سخر اليهود والمنافقون من إخبار الرسول بذلك مستبعدين لهغاية البعد لجهلهم وكفرهم فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين ضمن الرد على نصارى نجران فأمره أن يقول: ﴿اللهم[1] مالك الملك تؤت الملك من تشاء . . ﴾ الخ . . أمره أن يقول ذلك ليعطيه ماوعده به من إتساع ملك أمته حتى يشمل ملك فارس والروم، وليرد على ضلال النصارى فى تأليه عيسى عليه السلام، إذ المعبود بحق المستحق للعبادة والتأليه دون سواه مَنْ هو مالك الملك كله، ويتصرف فيه وحده يؤتي منه ما يشاء لمن يشاء، وينزع ممن أعطاهم ما شاء ومتى شاء لا يحول دون تصرفه حائل، ولا يقف دون إعطائه أو نزعه واقف. يعز الذليل متى شاء ويذل العزيز متى شاء، بيده الخير[2] لا بيد غيره يُفِيضه على من يشاء، ويمنعه عـمّـن يشاء وهو على كل شيء قدير. يولج النهار فى الليل فلا يبقى نهار، ويولج الليل في النهار فلا يبقى ليل، مظهر من مظاهر القدرة الموجبة لألوهيته وطاعته ومحبته، ويدخل ساعات من الليل فى النهار فيقصر الليل ويطول النهار، ويدخل ساعات من النهار في الليل فيطول، مظهر من مظاهر الحكمة والقدرة والرحمة، يخرج الحي من الميت الانسان من النطفة والنبتة من الحبة ويخرج الميت من الحي النطفة من الإنسان الحي، والبيضة من الدجاجة، والكافر الميت من المؤمن الحي ، والعكس كذلك ، هذه مظاهر ربوبيته المستلزمة لألوهيته فتقرر أنه الإله الحق، لا رب غيره ولا إله سواه، وبذلك تأكد أمران: الأول: أن الله قادر على اعطاء رسوله ما وعده لأمته ، وقد فعل، والثاني: أن عيسى لم يكن إلا عبدا مربوباً لله بالعبودية وشرفه بالرسالة وأيده بالمعجزات.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ فضل الدعاء[3] بهاتين الآيتين بأن يقرأهما العبد ثم يقول: (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما

---

(١) ذكر القرطبي أن النضر بن شميل قال: من قال اللّهم فقد دعا الله تعالى بجميع أسمائه كلها، وقال الحسن البصري: اللهم: تجمع الدعاء.

(٢) والشرّ بيده أيضاً وحذف لتطلب المقام ذلك نحو: ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾ أي والبرد.

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية أن معاذا حبس يوماً عن صلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ فسأله عما حبسه فقال كان عليّ دين=

تعطي منهما من تشاء، وتمنع من تشاء اقض عنى ديني، فإنه يقضى بإذن الله تعالى ويعطى إن سأل حاجة له من حوائج الدنيا والآخرة.

٢ـ استجابة الله تعالى لرسوله ﷺ وإنجازه[1] ما وعده في أمته.

٣ـ بطلان ألوهية عيسى عليه السلام وثبوت عبوديته ورسالته وكرامته.

لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

لا يتخذ : لا يجعل.

أولياء : جمع ولِّي يتولّونهم بالنصر والمحبة والتأييد.

فليس من الله في شيء[2] : أي بريء الله تعالى منه، ومن بريء الله منه هلك.

= ليحنّا اليهودي فوقف عند بابي يرصدني فقال له النبي ﷺ اتحبّ أن يقضى عنك ربّك؟ قال: قلت نعم قال اقرأ كل يوم ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ إلى قوله ﴿بغير حساب﴾ ثمّ قل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطي منها من تشاء وتمنع من تشاء اقض عني ديني. فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأدّاه عنك».

(١) إذ لم يقبض الرسول ﷺ حتى دانت الجزيرة كلها بالإسلام ولم يمض ربع قرن حتى بلغ ملك أمّته من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، ومن جملة ذلك دولة فارس والروم.

(٢) هذا نحو: ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية على حذف مضاف كذلك: ﴿فليس من الله في شيء﴾ أي ليس في ولاية الله وحزبه في شيء.

تقــــاة[1] : وقاية باللسان وهي الكلمة الملينة للجانب، المبعدة للبغضاء.

محــضراً : حاضراً يوم القيامة.

أمداً بعيــداً : مدىً وغاية بعيدة.

ويحذركم الله نفسه : أي يخوفكم عقابه إن عصيتموه.

معنى الآيات :

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي أعواناً وانصاراً يبـادلونهم المحبة والمناصرة على إخوانهم المؤمنين، وأعلمهم تعالى أن من يفعل ذلك فقد بريء الله تعالى منه وذلك لكفره وردّته حيث والى أعداء الله وعادى أولياءه، فقال تعالى ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون[2] المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ أي بريء الله تعالى منه وانقطعت صلته وانبتَّ حبل الولاية بينه وبين الله تعالى، وياهلاكه ثم رخص تعالى للمؤمنين المستضعفين الذين يعيشون تحت سلطان الكافرين في أن يعطوهم حلاوة لسانهم دون قلوبهم وأعمالهم[3] فيتقون بذلك شرهم وأذاهم، وذلك بكلمة المصانعة والمجاملة قال تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة. . .﴾ ولما كان أمر البراء والولاء ذا خطر عظيم قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي في أن تتخذوا أعداءه أولياء ضد اولياته وأخبرهم أن المصير إليه لا إلى غيره فليحذر العصاة من وقوفهم بين يدي الله فقال: ﴿وإلى الله المصير﴾.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٨) وأما الآية الثانية (٢٩) فقد أمر تعالى رسوله ﷺ ان يقول للناس مؤمنهم وكافرهم ﴿. . ان تخفوا ما في صدوركم. .﴾ من حب أو بغض، من رضىً أو سخط فلا تنطقوا به ولا تظهروه بحال من الأحوال،أوإن تظهروه بقول أو عمل أو حال فإنه تعالى يعلمه ويعلم ما في السموات وما في الأرض، ويحاسب به ويجزى عليه وهو

---

(١) قال ابن عباس: التقاة هي أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يقتل ولا يأتي مأثما، وقرىء ﴿إلّا أن تتقوا منهم تقية﴾ وقالوا في التقية: أن يكون المؤمن في دار الكفار قائما بينهم فله أن يداريهم بلسانه إذا كان خائفا على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان. وأصل تقاة: وقية على وزن فعلة كتؤدة فقلبت الواو تاء وقلبت الياء ألفاً فصارت تقاة.

(٢) ﴿من دون المؤمنين﴾ حرف الجر ﴿مِنْ﴾ لتأكيد الظرفية وهو تقييد للنهي في الظاهر فيكون المنهي عنه اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين، وهو المراد من الآية ولذلك صور منها: أن يتخذ المسلم أو المسلمون جماعة الكفر أولياء لهم ميلا الى كفرهم ومناوأة للمسلمين وهذه كفر بلا خلاف، ومنها أن يُوالي الكفار لأجل الإضرار بالمسلمين وهذه كالأولى، ومنها ما أذن فيها وهي التقية.

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «إنّا لنكشر في أقوام وقلوبنا تلعنهم» يريد المنافقين. والتكشير كالابتسام إلّا أنه متكلف فيه.

على كل شيء قدير. ألا فليراقب الله العاقل وليتقه، فلا يقدم على معاصيه، وخاصة موالاة أعدائه على أوليائه. وأما الآية الثالثة (٣٠) ﴿يوم تجد كل نفس. .﴾ ففيها يذكر تعالى عباده بيوم القيامة ليقصروا عن الشر ويرعَوُوا من الظلم والفساد فيقول أذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً أي حاضراً تجزى به، وما عملت من سوء وشر حاضراً أيضاً ويسوءها مرآه فتود بكل قلبها لو ان بينها وبينه غاية من المسافة لا تدرك وينهي تعالى تذكيره وإرشاده سبحانه وتعالى بقوله ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ مؤكداً التحذير الأول به، ويختم الآية بقوله والله رؤوف بالعباد، ونعم ما ختم به إذ لولاه لطارت قلوب العالمين فزعاً وخوفاً فذو الرأفة بعباده لايؤأس من رحمته.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة موالاة الكافرين[1] مطلقاً.

٢ـ موالاة الكافرين على المؤمنين ردة وكفر وبراءة من الله تعالى.

٣ـ جواز التقيّة في حال ضعف المؤمنين وقوة الكافرين.

٤ـ وجوب الحذر من عذاب الله تعالى وذلك بطاعته تعالى.

٥ـ خطورة الموقف يوم القيامة ووجوب الاستعداد له بالإيمان والتقوى.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات:

تحبون الله : لكمال ذاته وإنعامه عليكم.

---

(١) أي وإن لم يكن فيها ضرر للمسلمين، وما أذن فيه للتقية فإنه مؤقت ولا يجوز الاستمرار فيه إلّا حال العجز عن الهجرة خشية ان يولد للمسلم أولاد فيوالون الكافرين وهم لا يعلمون أنّ ما كان عليه آباؤهم كان تقية لا غير.

يحببكم الله : لطاعتكم إيّاه وطهارة أرواحكم بتقواه.

يغفر لكم ذنوبكم : يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها.

فإن تولوا : أعرضوا عن الإيمان والطاعة.

معنى الآيتين :

لما ادعى وفد نصارى نجران أن تعظيمهم المسيح وتقديسهم له ولأمه إنما هو من باب طلب حبّ[1] الله تعالى بحب ما يحب وتعظيم ما يعظم أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ في هذه الآية أن يقول لهم : إن كنتم تحبون الله تعالى ليحبكم فاتبعوني على ما جئت به من التوحيد والعبادة يحببكم الله تعالى، ويغفر لكم ذنوبكم أيضاً وهو الغفور الرحيم. وبهذا أبطل دعواهم في أنهم ما ألّهوا المسيح عليه السلام الا طلباً لحب الله تعالى والحصول عليه. وأرشدهم إلى أمثل طريق للحصول على حبّ[2] الله تعالى وهو متابعة الرسول على ما جاء به من الإيمان والتوحيد والعبادة المزكية للروح المورثة لحب الله تعالى وهذا ما تضمنته الآية الأولى (٣١).وأما الآية الثانية (٣٢) فقد أمر تعالى رسوله أن يأمر وفد نصارى نجران وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين بطاعته وطاعة رسوله إذ هما طريق الكمال والإسعاد في الدنيا والآخرة. فإن أبوا وأعرضوا أو تولوا فقد باءوا بغضب الله وسخطه عليهم لأنهم كافرون والله لا يحب الكافرين هذا معنى قوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ محبة العبد للرب تعالى واجب وإيمان لقول الرسول ﷺ : «أحبوا الله تعالى لما يغذوكم به من النعم وأحبوني بحبّ[3] الله تعالى». وقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله

(١) الحُبُّ: المحبة، والحِبّ بالكسر كالحُبّ، والحِبُّ أيضاً المحبوب. ومنه الأثر: أسامة حِبّ رسول الله ﷺ وابن حبه: أي زيد مولى رسول الله ﷺ وورد حبه يحب ولم يأت اسم الفاعل منه حابّ كما لم يأت اسم المفعول مِن أحبّ محِبّ وإنما أتى محبوب.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الله إذا أحبّ عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إنّ الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إنّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض».

(٣) الحبّ: الميل إلى ما في إدراكه لذة روحية كحب الله ورسوله وحب ما يحب الله ورسوله ويستلزم الحب طاعة المحبوب قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إنّ المحب لمن يحب مطيع

أحب إليه مما سواهما».

٢- محبة الله تعالى للعبد هي غاية ما يسعى إليه أولوا العلم في الحياة.

٣- طريق الحصول على محبّة الله تعالى للعبد هو اتباع النبي محمد ﷺ بالإيمان بما جاء به واتباع شرعه وطاعته في المَنْشَط والمكره، للآية ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ إذ ليس الشأن أن يُحبَّ العبد، وإنما الشأن أن يُحَبّ!

٤- دعوى محبة الله ورسوله مع مخالفة أمرهما ونهيهما دعوى باطلة وصاحبها خاسر لا محالة.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ[1] ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

شـرح الكلمـات:

اصطفى آدم : اختار، وآدم هو أبو البشر عليه السلام.

---

(١) اصطفاء آدم كان بالوحي إليه وبإكرامه له بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واصطفاء نوح بإرساله وجعله أبا للبشر بعد الطوفان وبإطالة عمره وإهلاك الظالمين بدعوته وآل إبارهيم بأن جعل النبوة بعد إبراهيم فيهم وختمهم بمحمد فخرهم وسيد أوّلهم وآخرهم. واصطفى آل عمران ومنهم: حنّة ومريم، وعيسى اصطفاهم بكمالات لم تكن لأحد في أيامهم سواهم.

آل إبراهيم : آل الرجل أهله وأتباعه على دينه الحق.

عمـــران : رجل صالح من صلحاء بنى إسرائيل فى عهدهم الأخير هو زوج حنّة وأبومريم عليهم السلام.

العالمـين : هم الناس المعاصرون لهم.

إمرأة عمران : حَـنَّـة[1]

نذرت لك ما في بطني : ألزمت نفسها أن تجعله لله يعبده ويخدم بيته الذي هو بيت المقدس.

محـــرّراً[2] : خالصاً لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبداً.

مـــريم : خادمة الـرب تعالى.

أعيذها بـك : احصّـنها واحفظها بجنابك من الشيطان.

وكفلها زكـريا : زكريا أبو يحيى عليهما السلام وكانت امرأته أختاً لحنّة.

المحــــراب : مقصورة ملاصقة للمسجد.

أنّى لك هذا؟ : من أين لك هذا، اي من أين جاءك.

معنى الآيات :

لما ادعى نصارى وفد نجران ما ادعوه فى المسيح عليه السلام من تأليهه وتأليه أمّه أنزل الله تعالى هذه الآيات يبيّن فيها مبدأ أمر عيسى وأمه وحقيقة أمرهما فأخبر تعالى أنه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران اصطفاهم لدينه واختارهم لعبادته ففضلهم بذلك على الناس وأخبر أنهم ذرّيّة[3] بعضهم من بعض لم تختلف عقائدهم، ولم تتباين فضائلهم وكمالاتهم الروحيّة وذلك لحفظ الله تعالى لهم وعنايته بهم. وأخبر تعالى أنه سميع عليم أي سميع لقول إمرأة عمران عليم بحالها لما قالت: ﴿. . رب إنى نذرت لك ما في بطني محرراً . .﴾، وذلك أنها كانت لا تلد فرأت فى حديقة منزلها طائراً يطعم أفراخه فحنّت إلى الولد وسألت ربها أن يرزقها ولداً وتجعله له يعبده ويخدم بيته فاستجاب الله تعالى لها فحملت ومات زوجها وهى

(١) هي حنّة بنت ما قودا مات زوجها وهي حبلى.
(٢) أي خالصا لعبادة الله لا تبقي به أنسالها ولا خدمة.
(٣) ذرية: منصوب على الحال في الآية الكريمة، ولفظ الذرية يطلق على الواحد وعلى الجمع ويطلق على الولد والوالد، وهو مشتق من الذرء الذي هو الخلق فذراً بمعنى خلق.

حبلى وقالت ما قص الله تعالى عنها في قوله: ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت[1] لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ وحان وقت الولادة فولدت ولكن انثى لا ذكراً فتحسرت لذلك، وقالت: ﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت﴾ وكيف لا يعلم وهو الخلاق العليم. وقالت: ﴿. . وليس الذكر كالأنثى . .﴾ في باب الخدمة في بيت المقدس فلذا هي آسفة جداً، وأسمت مولودتها مريم أي خادمة الله، وسألت ربها أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم واستجاب الله تعالى لها فحفظها وحفظ[2] ولدها عيسى عليه السلام فلم يقربه شيطان قط. وتقبل[3] الله تعالى ما نذرته له وهو مريم فأنبتها نباتاً حسناً فكانت تنمو نماء عجيباً على خلاف المواليد، وكفلها زكريا فتربت في بيت خالتها وذلك أن حنة لما وضعتها أرضعتها ولفّتها في قِماطها وبعثت بها الى صلحاء بنى إسرائيل يسندونها إلى من يرون تربيتها في بيته، لأن أمها نذرتها لله تعالى فلا يصح منها أن تبقيها في بيتها ووالدها مات أيضا، فأحب كل واحد أن يكفلها فكفلها زكريا وأصبحت في بيت خالتها[4] بتدبير الله تعالى لها، ولما كبرت أدخلها المحراب لتتعبد فيه، وكان يأتيها بطعامها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف فيعجب لذلك ويسألها قائلا: ﴿يا مريم أنى لك هذا؟﴾ فتجيبه قائلة ﴿هو من عند[5] الله﴾ وتعلل لذلك فتقول: ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان إفضال الله تعالى وإنعامه على من يشاء.

٢ـ بيان أن عيسى عليه السلام ليس بابن الله ولا هو الله، ولا ثالث ثلاثة بل هو عبد الله ورسوله أمه مريم، وجدته حنّة، وجدّه عمران من بيت شرف وصلاح في بني اسرائيل.

٣ـ استجابة الله تعالى لدعاء أوليائه كما استجاب لحنّة ورزقها الولد وأعاذ بنتها وولدها من الشيطان الرجيم.

---

(١) جرياً على سنتهم في نذر أولادهم الذكور لخدمة بيت المقدس.

(٢) أخرج مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال «ما من مولود يولد إلاّ نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلاّ ابن مريم وأمّه» ثم قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرّجيم﴾.

(٣) أي رضيها منها وقبلها كالشيء يهدى للكريم فيقبله ويثيب عليه.

(٤) روي عن ابن عباس أن زكريا استأجر لها ظِئراً فأرضعتها حولين كاملين.

(٥) تريد أنّه يحصل لها بغير طريقة الأسباب المعروفة وإنّما يوضع بين يديها كرامة لها والله هو الرازق لها سبحانه وتعالى.

٤ـ مشروعية النذر[1] لله تعالى وهو التزام المؤمن الطاعة تقرباً إلى الله تعالى.

٥ـ بيان فضل الذّكر على الأنثى فى باب النهوض بالأعمال والواجبات.

٦ـ جواز التحسّر والتأسف لما يفوت العبد من الخير الذى كان يأمله.

٧ـ ثبوت كرامات الأولياء كما تم لمريم فى محرابها.

٨ـ تقرير نبوة محمد ﷺ إذ مثل هذه القصص لا يتأتّى لأُميّ أن يقصه إلا أن يكون رسولاً يوحى إليه. ولهذا ختمه بقوله ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك﴾.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

شـرح الكلمـات :

هنـالـك : ثمَّ عندما[2] رأى كرامة الله لمريم عليها السلام.

زكـــريا : أحد أنبياء بني إسرائيل ورسلهم.

هـــب لي : أعطـــني.

---

(١) ذكر القرطبي أنّ ولداً قال لأمه يا أمّه ذريني لله أتعبد له وأتعلم العلم له فقالت نعم فسار يتعبد ويطلب العلم فلما كمل في علمه وحاله أتاها فطرق الباب فقالت مَنْ؟ فقال ابنك فلان، فقالت: قد تركتك لله فلا نعود فيك.

(٢) أي في ذلك المكان وهو المحراب تنبّه إلى الدعاء لما شاهد من خوارق العادات فدعا طالباً الولد فاستجاب الله تعالى له، ولا يقال كيف يأخذ الرسول على مَنْ دونه ومن امرأة بالذات؟ فإن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها، وأهل الكمال من الناس يعتبرون دائماً بما يرون ويسمعون.

من لدنـك : مـن عنـدك.

ذريّـة طيبة : أولاداً أطهاراً صالحين.

بكلمة من الله : هي عيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُن».

وسيداً[1] وحصوراً[2] : شريفاً ذا عِلْم وحلم، ولا رغبة له في النساء لقلة مائه.

غـلام : ولـد ذكـر.

عاقـر[3] : عقيم لا تلد لعُقْمها وعُقْرها.

آيـة : علامة استدل بها على بداية الحمل لأشكر نعمتك.

إلا رمزاً : إلا إشارة بالرأس أو باليد يفهم منها ما يفهم من الكلام.

الإبكـار : أول النهار، والعشي آخره.

معنى الآيـات :

لما شاهد زكريا من كرامات الله لمريم أنها تُؤْتَى بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ذكر أن الله تعالى قد يعطي ما شاء لمن يشاء على غير نظام السنن الكونيّة فكبر سِنّـه وعُقم امرأته لا يمنعان أن يعْطيه الله تعالى ولداً، فسأل ربّه الولد فاستجاب[4] له ربّه فبشرته الملائكة بالولد وهو قائم يصلى في محرابه قائلة إن الله يبشرك بولد اسمه يحيى[5] مصدّقاً بكلمة من الله يريد أنه يصدق بعيسى بن مريم ويكون على نهجه، لأن عيسى هو الكلمة إذ كان بقول الله تعالى له «كُن» فكان، ووصفه بأنّه سيد ذو علم وحِلم وتقىً وحصور لا يأتي[6] النساء، ونبيٌ من الصالحين. فلما سمع البشارة من الملائكة جاءه الشيطان وقال له: إن الذي سمعته من البشرى هو من الشيطان ولو كان من الرحمن لأوحاه إليك وحياً، وهنا أراد زكريا أن يتثبت من الخبر فقال: ﴿ربّ أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتى

---

(١) السيد في عرف الشرع: من يقوم بإصلاح حال الناس في دنياهم وأخراهم معاً وشاهده قوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيِّد».

(٢) قال المفسرون في الحصور أقوالاً كثيرة أمثلها انه كان معصوما من الفواحش والقاذورات وغير مانعه ذلك من تزويج النساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، إذ يفهم من دعاء زكريا المتقدم أنه يكون له أولاد طيبون صالحون.

(٣) مأخوذ من عقرت المرأة رحمها أي قطعتها فلم تحبل ولم تلد وهو وصف خاص بالنساء فلذا يقال عاقر ولا يلبس، إذ لا يوجد في الرجال عاقر حتى يفرق بينهما بالتاء.

(٤) الفاء في قوله تعالى: ﴿فنادته الملائكة﴾ هي للترتيب أي فور دعائه استجاب الله تعالى له وفيها معنى السببية أيضاً: أي بسبب دعائه أعطاه والله على ما يشاء قدير.

(٥) يحيى: معرب يوحنا بالعبرانية نطق بها العرب على صيغة المضارع.

(٦) هذا قول الجمهور وقد تقدّم في النهر ما هو أمثل ما قيل في الحصور مراعاة لكمال الأنبياء وعلو مقاماتهم.

عاقر؟﴾ فأوحى إليه: أن هذا فعل الله والله يفعل ما يشاء. وهنا قال زكريا رب اجعل لي آية يريد علامة يستدل بها على وجود الحمل ليستقبل النعمة بالشكر فأجابه ربه قائلا: ﴿آيتك: أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾ يريد أنك تصبح وأنت عاجز عن الكلام لمدة ثلاثة أيام، فلا تقدر أن تخاطب أحداً إلا بالإشارة وهي الرمز فيفهم عنك، وأمره تعالى أن يقابل هذا الإنعام بالشكر التام فقال له ﴿واذكر[1] ربك كثيراً وسبّح﴾ يريد صلِّ بالعشي آخر النهار والإبكار أوله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الاعتبار بالغير، إذ زكريا دعا بالولد لما رأى كرامة الله تعالى لمريم.

٢ـ مشروعية الدعاء وكونه سراً أقرب إلى الإجابة، وكونه فى الصلاة كذلك.

٣ـ جواز تلبيس إبليس على المؤمن، ولكن الله تعالى يذهب كيده ووسوسته.

٤ـ جواز سؤال الولد الصالح.

٥ـ كرامات الله تعالى لأوليائه ـ باستجابة دعاءهم.

٦ـ فضل الإكثار من الذكر، وفضيلة صلاتى الصبح والعصر وفي الحديث: «من صلى البردين دخل الجنة».

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

---

(١) روي عن كعب القرظي قوله: لو رُخّص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا إذ جعل له آية الولد له ألاّ يكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا ولم يعفه من الذكر بل أمره بقوله: ﴿واذكر ربّك كثيراً وسبّح بالعشي والإبكار﴾ ولرخص للرجل في الحرب إذ قال تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾.

شرح الكلمات :

واذ قالت الملائكة : أذكر لوفد نصارى نجران ما قالت الملائكة فإن ذلك دليل على صحة نبوّتك، وصدقك فى أمر التوحيد، وعدم ألوهية عيسى .

اصطفاك : اختارك لعبادته وحسن طاعته .

وطهّرك : من الذنوب وسائر النقائص المخلة بالولاية لله تعالى .

واصطفاك على نساء العالمين[1] : أي فضلك على نساء العالمين بما أهّلك له من كرامة ولادة عيسى من غير أب .

اقنتي[2] : أطيعي ربك واقنتي له واخشعي .

واركعى مع الراكعين : اشهدى صلاة الجماعة في بيت المقدس .

ذلك من انباء الغيب : أي ماذكرت من قصة مريم وزكريا من أخبار الغيب .

لديهم : عندهم وبينهم .

إذ يُلْقون أقلامهم[3] : جمع قلم وهو ما يكتب به وإلقاؤها لأجل الاقتراع بها على كفالة مريم .

يختصمون : فى شأن كفالة مريم عليها وعليهم السلام .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه اذكر لوفد نجران الذين يحاجونك فى ألوهية المسيح إذ قالت الملائكة مخاطبة مريم أم المسيح بما أهّلها الله تعالى له وأكرمها به من اصطفاء[4] الله تعالى لها لتكون من صالحى عباده، وتطهيره إياها من سائر الذنوب والنقائص والعيوب مفضلاً لها على نساء عالمها حيث برأها وأكرمها وأظهر آية قدرته فيها فولدت عيسى بكلمة الله وليس على سنته

(١) قيل في سبب لقبها بالصدّيقة أنها لم تسأل الآية عندما بشرت بالولد كما سألها زكريا عليه السلام، وأثنى عليها تعالى بقوله: ﴿وصدّقت بكلمات ربها وكانت من القانتين﴾.

(٢) روي عن الأوزاعي أنّه قال: لمّا أمر تعالى مريم بالقنوت قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها، وسالت دَماً وقيحاً.

(٣) ألقوها في نهر الأردن وهو نهر جارٍ وأفادت هذه الآية مشروعية القرعة وأنها وإن كانت في شرع مَنْ قبلنا إلاّ أنها شرعت لنا على لسان رسول الله ﷺ إذ كان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها وكذا حديث: «ولو يعلم الناس ما في النداء والصف الأوّل ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا».

(٤) اختلف في نبوة النساء ورجح كثيرون نبوة مريم لخطاب الملائكة لها واخبارهم باصطفاء الله تعالى لها وهذا يرجح نبوتها. أما الرسالة فلا لأن الرسالة تتطلب الاتصال بالرجال وهذا يتنافى مع كمال النساء وما خلقن له من الستر والحجاب.

تعالى فى تناسل البشر من ذكر وأنثى ، وأمرها بمواصلة الطاعة والاخبات والخشوع لله تعالى فقال : ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقتنى لربك واسجدي[1] واركعى مع الراكعين[2]﴾ ، وخص الصلاة بالذكر لأهميتها وذكرها بأعظم أركانها وهو السجود والركوع وفى بيت المقدس مع الراكعين.

هذا معنى الآيتين الأولى (٤٢) والثانية (٤٣). أما الآية الثالثة (٤٤) فقد خاطب الرب تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ مُشيراً إلى ما سبق في هذا القصص المتعلق بآل عمران حنة ومريم وزكريا ويحيى ومريم أخيراً بأنه كله من انباء الغيب واخباره يوحيه تعالى إليه فهو بذلك نبيّه ورسوله ، وما جاء به من الدين هو الحق ، وما عداه فهو باطل ، وبذلك تقرر مبدأ التوحيد ، وأنه لا إله إلا الله ، وبطل باطل أهل الكتاب فلا عزير ابن الله ، ولا المسيح بن الله ، ولا هو إله مع الله ، وإنما هو عبدالله ورسول الله . ثم تقريراً لمبدأ الوحي وتأكيداً المقال تعالى لرسوله أيضاً ، وما كنت لديهم أي عند علماء بني اسرائيل وصلحائهم وفي حضرتهم ، وهم يقترعون على النذيرة «مريم» من يكفلها فرموا بأقلامهم في النهر فمن وقف قلمه في الماء كان كافلها بإذن الله فألقوا أقلامهم تلك الأقلام التي كانت تكتب الحق والهدى لا الباطل والضلال كما هي أغلب أقلام أرباب الصحف والمجلات اليوم فوقف قلم زكريا ففاز بكفالتها[3] بإذن الله تعالى وقد تقدم قول الله تعالى فكفلها زكريا ، بهذا قامت الحجة على أهل الكتاب وغيرهم بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الدين الحق هو الاسلام . وما عداه فباطل وضلال!

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ فضل مريم عليها السلام وأنها وليّة صديقة وقد أخبر النبي ﷺ أنها من كمّل النساء ففي

---

(١) قدم السجود على الركوع في الذكر وإن كان مؤخراً في الفعل لأنه ألصق بالشكر والمقام مقام شكر.

(٢) فيه دليل على صلاة المرأة في الجماعة وقد سن ذلك رسول الله ﷺ في مثل قوله : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» وإن كان قوله ﴿واركعي مع الراكعين﴾ لا يستلزم الصلاة في جماعة إذ هو أمر بالركوع فقد تركع وحدها أو مع غيرها.

(٣) قال القرطبي دلت هذه الآية : ﴿فكفلها زكريا﴾ على أنّ الخالة أحق بالحضانة من سائر القرابات ما عدا الجدة، وقد قضى رسول الله ﷺ في ابنة حمزة «أمة الله» لجعفر لأنّ خالتها كانت تحته . وقال ﷺ : «إنّما الخالة بمنزلة الأمّ».

الصحيح «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء[1] إلا آسية إمرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

٢ـ أهل القرب من الله هم أهل طاعته القانتون له.

٣ـ الصلاة سلم العروج الى الملكوت الأعلى.

٤ـ ثبوت الوحي المحمدي وتقريره.

٥ـ مشروعية الاقتراع عند الاختلاف وهذه وإن كانت في شرع من قبلنا إلا أنها مقررة في شرعنا والحمد لله.

إِذْ قَالَتِ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ[2] أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات:

يبشرك : يخبرك بخبر سار مفرح لك.

بكلمة منه[3] : هو المسيح عليه السلام وسمي كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى ﴿كن﴾.

المسيح[4] : لقب عيسى عليه السلام ومن معانيه الصديق.

الوجيه : ذو الجاه والقدر والشرف بين الناس.

---

(١) وفي رواية أخرى: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ».

(٢) ذهب القرطبي إلى أنّ كلمة ربّ تعني سيدي أي جبريل، وهو خطأ واضح بل المراد به الربّ تبارك وتعالى فهي تخاطب ربّها طالبة معرفة سبب الولد إذ الأسباب المعتادة لم تكن فكيف يكون الولد.

(٣) المراد بكلمة هو كلمة التكوين ووصف عيسى بكلمة مرادٌ به كلمة خاصة وهي كلمة ﴿كُنْ﴾.

(٤) اختلف في سبب تلقيب عيسى بالمسيح، والمشهور أنه لقب تشريف كالفاروق مثلا أو الملك أو الصديق، وأمّا عيسى فهو معرب أيشوع ومعناه السيد، وهل المسيح مشتق من المسح؟ وهل هو بمعنى الماسح أو الممسوح خلاف.

في المـهد : المهد مضجع الصبي وهو رضيع .

وكـهـلاً : الكهولة سنّ ما بين الشباب والشيخوخة .

ولم يمسسني بشر : تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع ولا لغيره، وذلك لعقمها وبعدها عن الرجال الأجانب .

قضى أمراً : أراده وحكم بوجوده .

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في حِجَاج وفد نصارى نجران إذ قال الله تعالى لرسوله واذكر[1] لهم إذ قالت الملائكة يا مريم ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ الآية، حيث أخبرتها الملائكة أي جبريل عليه السلام بأن الله تعالى يبشرها بولد يكون بكلمة الله تعالى اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وأنه ذو جاه وشرف في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين، وأنه يكلم الناس وهو في مهده وقت رضاعه، كما يكلمهم في شبابه وكهولته[2]، وأنه من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله تعالى وحقوق عباده وافية غير منقوصة فردت مريم قائلة: ﴿رب أنّى يكون لي ولد﴾ أي كيف يكون لي ولد ولم يَغْشَنى بشر بجماع وسنة الله في خلق الولد الغشيان فأجابها جبريل قائلا: الأمر هكذا سيخلق الله تعالى منك ولداً من غير أب، وهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء وإذا حكم بوجود شيء من غير ذوات الأسباب فإنما يقول له كن فهو يكون كما قضى الله تعالى وأراد .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان شرف مريم وكرامتها على ربها إذ كلمها جبريل وبشرها بعد أن تمثل لها بشراً .

٢- بيان شرف عيسى عليه السلام ووجاهته في الدنيا والآخرة وأنه من المقربين والصالحين .

٣- تكلم عيسى في المهد[3] آية من آيات الله تعالى حيث لم تجر العادة أن الرضيع يتكلم في زمان رضاعه .

---

(١) إذ الظرفية هنا بدل من نظيراتها السابقة وهي معمولة لفعل محذوف أي اذكر.

(٢) ذكر الكهولة هنا تطمين لأمه أنّه لا يموت صغيرا وتكليمه في الكهولة يكون بعد نزوله من السماء لأنّه عليه السلام رفع مع نهاية سنّ الشباب وهو ثلاثة وثلاثون سنة لا غير.

(٣) لقد تكلم في المهد غير واحد، منهم شاهد يوسف، وصاحب جريج وكلام عيسى في المهد هو قوله : ﴿إني عبدالله آتاني الكتاب﴾ الآية في سورة مريم .

٤ـ جواز طلب الإستفسار[1] عما يكون مخالفاً للعادة لمعرفة سرّ ذلك أو علته أو حكمته.

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات:

الكتاب : الخط والكتابة.

الحكمة : العلم الصحيح والإصابة في الأمور وفهم أسرار التشريع الإلهي.

ورسولاً : أي وابعثه رسولاً.

آية : علامة دالة على رسالته وصدق نبوته.

أخلق لكم : أي أصور لكم، لا الخلق الذي هو الإنشاء والاختراع إذ ذاك لله تعالى.

كهيئة الطير[2] : كصورة الطير.

---

(١) هذا من قولها ﴿ربِّ أنى يكون لي ولد﴾ الآية.

(٢) قيل اليهود هم الذين طلبوا أن يخلق لهم خفاشاً لأنّه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله لبن يرضع به أولاده ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض كما تحيض المرأة ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يبصر في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة.

الأكمـه : الـذي ولد أعمـى .

الأبـرص : ذو البرص وهو سرض عَياء عجز عنه الطب القديم والحديث، والبرص بياض يصيب الجلد البشري .

تدّخـرون : تحبسونه وتخفونه عن أطفالكمْ من الطعام وغيره .

لما بين يدي : من قبلـي .

إن الله ربي وربكم : إلهي وإلهكـم فاعبدوه .

معـنى الآيـات :

مازال السياق في بيان حقيقة عيسى عليه السلام، وأنه عبدالله ورسوله وليس بابن الله ولا بإله مع الله فأخبر تعالى أنه يخلقه بكلمة كن ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وقد فعل، وأنه يبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل وقد فعل فأخبرهم عيسى أنه قد جاءهم بآية من ربهم تدل على صدق رسالته وهذه الآية[1] هي أنه يخلق لهم من الطين على صورة الطير وينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، وأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله وفعلاً كان يمسح على ذي العاهة المستعصاة كالبرص فيبرأ صاحبها فوراً، وطلبوا منه أن يحي لهم سام بن نوح[2] فأحياه بإذن الله، وأنه يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون فما يخطىء أبداً، ثم قال لهم: إن في ذلك المذكور لآية لكم دالة على صدقي إن كنتم مؤمنين فآمنوا بي ولا تكـذبـونى وقد جئتكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ولأحل لكم بعض الذي حرّم[3] عليكم، وفي ذلكم خير لكم ورحمة فآمنوا بي، فكذبوه فقال لهم: اتقوا الله واطيعوني تنجوا وتسعدوا وأعلمهم أخيراً أن الله تعالى هو ربّه وربهم وأن عليهم أن يعبدوه ليكملوا ويسعدوا وأن عبادة الله تعالى وحده وبما شرع هي الصراط المستقيم المفضي بالسالكين إلى الكمال والإسعاد في الحياتين .

---

(١) قوله تعالى ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ وحّد آية وهي آيات لأنها جنس كنعمة بمعنى جنس النعم والمراد من الآية ما تقدم في قوله ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطير﴾ الخ .

(٢) روي أنه أحيا لهم أربعة وهم سام بن نوح، والعاذر وكان صديقاً له . وابن العجوز وابنة العاشر.

(٣) هو ما حرّمه الله عليهم على عهد موسى من أكل الشحوم ونحوها، أمّا ما كان محرّما أصلاً لضرورة فلا يحله لهم وذلك كالسرقة والقتل والزنا والربا فإنه لا يحله لهم أبداً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ شرف الكتابة وفضلها

٢ـ فضل الحكمة[1] وهي الفقه في أسرار الشرع والإصابة في الأمور.

٣ـ الغيب لله، ويعلم أنبياءه منه ما يشاء.

٤ـ ثبوت معجزات عيسى عليه السلام.

٥ـ لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله، وعيسى كلمة الله وروح منه ورسول إلى بني اسرائيل.

٦ـ الأمر بالتقوى وطاعة الرسول لتوقف السعادة والكمال عليهما.

۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) يكفي الحكمة شرفاً وفضلا قول الله تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا» وقول الرسول «ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

أحسّ[1] منهم الكفر : علم منهم الكفر به وبما جاء به ، وهمهم بأذيته .

الحواريون[2] : جمع حواري ، والمراد بهم أصفياؤه وأصحابه .

مسلمون : منقادون لأمر الله ورسوله مطيعون .

الشاهدين : الذين يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويعبدونه بما يجب أن يعبد به .

مكروا : دبروا القتل للمسيح عليه السلام .

ومكر الله : دبر تعالى لإنجائه وخيَّبهم فيما عزموا عليه .

خير الماكرين : أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه وإهلاك أعدائه .

متوفيك : متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك .

ورافعك إليّ : إلى جواري في الملكوت الأعلى .

ومطهرك : منزهك ومبعدك من رجسهم وكفرهم .

ذلك نتلوه عليك : ذلك المذكور من أمر عيسى نقرؤه عليك من جملة آيات القرآن الحكيم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحِجَاج مع وفد نصارى نجران فذكر تعالى من شأنه أنه لما علم عيسى بكفر قومه وهمِّهم بقتله غيلة استصرخ المؤمنين قائلا : ﴿من أنصاري[3] إلى الله﴾ فأجابه الحواريون وهم أصفياؤه وأحباؤه قائلين : ﴿نحن أنصار الله﴾ آمنا بالله واشهد يا روح الله بأنّا مسلمون ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول[4] فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية

---

(١) أحس بالشيء : عرفه وعلمه بواسطة الحاسة والحواس : السمع والبصر واللّسان واليدان والشم ، والإحساس : العلم بالشيء ، والحسّ : القتل يقال حسه إذا قتله .

(٢) كانوا اثنى عشر رجلا ، وسمي الناصر للنبي حواريا لبياض قلبه وصفاء روحه ، وفي الحديث «لكلّ نبي حواري وحواريّ الزبير» والحَور لغة البياض ، والحواري الخبز الأبيض .

(٣) هل (إلى) هنا بمعنى مع أي مَنْ أنصاري مع الله ونظيره ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أي مع أموالكم او هي على بابها ، ويكون الكلام «مَنْ أنصاري» في الطريق إلى الله ؟

(٤) أي عيسى عليه السلام .

ولرسلك بالرسالة. قال تعالى ونفذ اليهود مكرهم في محاصرتهم منزل عيسى ليأخذوه ويصلبوه، ومكر الله تعالى وهو خير الماكرين إذ قال لعبده ورسوله عيسى إني متوفيك أي قابضك ورافعك إلى جواري فقبضه تعالى فأخرجه من رَوزنَة[1] المنزل ورفعه[2] إليه وألقى الشبه على رئيس شرطة المهاجمين فظنوه هو المسيح فقتلوه وصلبوه فسبحان المدبر الحكيم، وهكذا ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين[3]﴾ وقوله له ومطهرك من الذين كفروا يريد منزهه من تهم اليهود الباطلة إذ قالوا ساحر وابن زنى، ومبعده من ساحة مجتمعهم الذي تعفن بكفرهم والخبث والشر والفساد وواعده بأنه سيجعل الذين اتبعوه فيما جاء به من الإيمان والاسلام والإحسان فوق الذين كفروا بذلك إلى يوم القيامة وقد أنجز الله تعالى وعده فأعز أهل الإسلام ونصرهم، وأذل اليهود والكفار وأخزاهم. كما واعده أيضاً أن يرد الجميع إليه يوم القيامة ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا من الإيمان والكفر، والصلاح والفساد ويجزي كل فريق بما كسب من خير أو شر فقال: ﴿ ثم إلَيّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً ﴾ في الدنيا بالقتل والسباء والذلة والمسكنة، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذابنا، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجور إيمانهم وصالح أعمالهم في الدنيا نصراً وتمكيناً وفي الآخرة جنّات ونعيماً، والله عز وجل لا يحب الظالمين فكيف يظلم عباده إذ جازاهم بأعمالهم؟ إنه لا يظلم أحداً من عباده مؤمنهم وكافرهم مثقال ذرة بل يجزي بعدله ويرحم بفضله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ قيام الحجّة على نصارى نجران إذ أخبرهم الرسول ﷺ بالوحي فقرّر به بطلان ألوهية عيسى عليه السلام بذكر أوصافه وأحواله مع قومه، وكرامة الله تعالى له، ولأتباعه معه ومن بعده في الدنيا والآخرة.

---

(١) الروزنة: الكوة في السقف أو الجدار.

(٢) لم أر داعيا إلى استشكال الكثيرين رفع عيسى حيّا إلى الملكوت الأعلى وإبقاءه هناك إلى أن ينزله في آخر أيام هذه الدنيا حيث صرّح رسول الله ﷺ بنزول عيسى بما لا مجال للشكّ فيه، إنّ السنن الكونية خلقها الله تعالى فهو قدير على تبديل ما شاء منها أليس الله على كلّ شيء قديراً؟ بلى فلمَ إذاً يرتبك المؤمنون في شأن رفع عيسى حياً وإبقائه في دار السلام حيّاً حتى ينزل في آخر الدنيا؟

(٣) ورد أنّ النبي ﷺ كان يقول في دعائه «اللهم امكر لي ولا تمكر علي» ومما يجب أن يعلم أنّ أفعال الله لا تشبه أفعال العباد لأنّ ذاته لا تشبه ذواتهم.

٢ـ الإسلام دين الأنبياء وسائر الأمم البشرية ولا دين[١] حق غيره فكل دين غيره باطل.

٣ـ تقرير حديث الرسول ﷺ في أن لكل نبيّ حواريّين[٢] وأنصاراً.

٤ـ فضل أهل لا إله إلا الله إذ هم الشاهدون بالحق والناطقون به.

٥ـ تقرير قبض الله تعالى لعيسى ورفعه إليه حياً. ونزوله في آخر الدنيا ليحكم زمناً ثم يموت الموتة التي كتب الله على كل إنسان، فلم يجمع الله تعالى له بين موتتين. هذا دليل أنه رفع إلى السماء حيّاً لا ميّتاً.

٦ـ صادق وعد الله تعالى بعزة أهل الإسلام، وذلة اليهود على مدى الحياة.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

المثــــل[٣] : الصفة المستغربة البديعة.

الحق من ربك : أي ما قصصناه عليك في شأن عيسى[٤] هو الحق الثابت من ربك.

---

(١) تقدم شاهده في قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

(٢) تقدّم الحديث آنفا وهو حديث صحيح.

(٣) المماثلة الحاصلة بين آدم وعيسى عليهما السلام في شيء واحد وهو: أن كُلّاً منهما خلق من غير أب وخلق بكلمة التكوين وهي كُنْ.

(٤) وهو أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام فنفخ في كُم درع مريم فسرت النفخة فيها فحملت بعيسى وولدته في ساعة من نهار وتكلم بعد وضعها له وطمأن والدته وأرشدها إلى ما تقوله لمن يتصدى لها يعيبها. وحاصله أنه كان بكلمة التكوين وهي كن كما كان آدم بها فلا أب له ولا أمّ.

المترين : الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

حاجك : جادلك بالحجج.

نبتهل : نلتعن أي نلعن الكاذب منا.

القصص الحق : ما قصه الله تعالى هو القصص الحق الثابت الذى لا شك فيه.

المفسدون : الذين يعملون بمعاصي الله تعالى في الأرض من الشرك وكبائر الذنوب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير عبوديّة عيسى ورسالته دون ربوبيّته وألوهيته، فقد روي أن وفد نجران قالوا للرسول ﷺ فيما قالوا: كل آدمي له أبٌ فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن﴾ فإذا هو كائن فأيّ داع لاتخاذ عيسى إلهاً، ألكونه خلقه الله من غير أب فآدم كذلك خلق بدون أب ولا أم، وإنما كان بكلمة الله، فكذلك عيسى خُلق بكلمة الله التي هي «كُنْ» فكان، هذا هو الحق الثابت من الله تعالى في شأن عيسى عليه السلام فلا تكونن من الشاكين فيه، وحاشاه ﷺ أن يشك.[1] ولما أكثروا عليه ﷺ من التردد والمجادلة أرشده ربه تعالى إلى طريق التخلص منهم وهو المباهلة بأن يجتمعوا ويقول كل فريق: اللهم العن الكاذب منا، ومن كان كاذباً منهم يهلك على الفور فقال له ربّه تعالى: ﴿فإن حاجوك فقل: تعالوا..﴾ (هلموا) ندع أبناءنا[2] وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وخرج في الغد رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم[3] أجمعين إلا أن النصارى عرفوا الحق وخافوا إن لاعنوا هلكوا فهربوا[4] من الملاعنة، ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فأبوا ورضوا بالكفر إبقاء على زعامتهم ودنياهم ورضوا بالمصالحة فالتزموا بأداء الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم الباطل. ثم قال تعالى ﴿إن هذا لهو القصص[5] الحق﴾ بالذي قصصناه عليك في شأن عيسى عليه السلام، وإنه عبدالله ورسوله وكلمته

---

(١) إنّ الخطاب وإن كان موجها إلى النبي ﷺ فإن المراد غيره من سائر الناس الذين يتأتىٰ لهم الشك أمّا هو فإنه المعصوم مما هو أقل من الشك الذي هو كفر.

(٢) في هذا دليل على أن أبناء البنات يطلق عليهم أبناء ويسمون بذلك.

(٣) أنه قال لهم أي لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين «إن أنا دعوت فأمنوا» أي قولوا بعدي آمين.

(٤) في هروب نصارى نجران (وهم علماء) من الملاعنة دليل قاطع على أن محمداً ﷺ رسول الله وأنّ دينه هو الدين الحق وما عداه باطل.

(٥) القصص اسم لما يقصّ وهو الإخبار بما فيه طول وتفصيل، مشتق من قص الأثر إذا تتبعه.

ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا هو تعالى، وإن الله لهو العزيز الغالب الذي لا يمانع في شيء أراده، الحكيم في خلقه وتدبيره ثم توعد نصارى نجران وغيرهم من أهل الفساد في الأرض بأنه عليم بهم وسوف يحل نقمته بهم، وينزل لعنته عليهم وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- ولاية الله تعالى لرسوله بإرشاده إلى الطريقة التي أنهى بها جدال النصارى الذي آلمه وأتعبه.

٢- مشروعية المباهلة غير أنها تكون في الصالحين الذين يستجاب لهم.

٣- تقرير ألوهية الله تعالى دون سواه وبطلان دعوى النصارى في تأليه عيسى عليه السلام.

٤- تهديد الله تعالى لأهل الفساد في الأرض وهم الذين يعملون بالشرك والمعاصي.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

أهل الكتاب : اليهود والنصارى لأن اليهود عندهم التوراة والنصارى عندهم الإنجيل.

إلى كلمة سواء[1] : الكلمة السَّواء هي العادلة وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

أرباباً[2] : الأرباب جمع ربّ وهو المألوه المطاع بغير طاعة الله تعالى.

فإن تولوا : أعرضوا عن التوحيد.

اشهدوا : اعلموا علم رؤية ومشاهدة بأنا مسلمون.

تحاجّون : تجادلون بحُجج[3] باطلة.

يهودياً ولا نصرانياً : لم يكن إبراهيم على ملة اليهود، ولا على ملة النصارى.

كان حنيفاً مسلمًا : مائلاً عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهي الإسلام.

أولى الناس بإبراهيم : أحق بالنسبة إلى إبراهيم وموالاته الذين اتبعوه على التوحيد.

والله ولي المؤمنين : متولي أمرهم وناصرهم.

معنى الآيات :

مازال السياق في إبطال باطل أهل الكتابين إذ قال تعالى لرسوله قل لهم يا أهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا ارتفعوا من وهدة الباطل التي أنتم واقعون فيها الى كلمة سواء كلمة عدل نصف بيننا وهي أن نعبد الله وحده لا نشرك به سواه وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً[4] أرباباً من دون الله فيفرض طاعته على غيره[5] ويلزمه بالسجود له تعظيمًا وتقديساً فإن أبوا عليك ذلك

---

(١) كلمة سُوىً، وسوى، وسواء، بمعنى واحد إلاّ أنّ السين إذا فتحت مدّت.

(٢) نظيرها قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحلله، وسجدوا لهم أيضاً.

(٣) المجادلة بالتي هي أحسن والقائمة على أساس العلم الصحيح ممدوحة غير مذمومة وهذه صورة لها: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله ﷺ: «هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما لونها؟ قال حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعَلّ عِرقاً نزعه. فقال رسول الله ﷺ لعلّ عرقاً نزعه».

(٤) وقد راسل النبي ﷺ ملوك الروم بمضمون هذه الآية إذ كتب إلى هرقل قائلا: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين (الأكّارين) (وهم الفلاحون) ﴿ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ إلى قوله ﴿مسلمون﴾ رواه مسلم».

(٥) وذلك بأن يحرم عليه ما أحلّ الله ويحل له ما حرّم الله ويلزمه بقبول ذلك والإذعان له.

وتـولـوا عنه فقولوا أيها المؤمنون: اشهدوا أيها المتولون عن الحق بأنا مسلمون. وفي هذا تعريض بل تصريح بأن غيرهم ليسوا مسلمين.

هذا معنى الآية الأولى (٦٤) أما الآية الثانية (٦٥) فيأمر تعالى رسوله أيضاً أن يقول للمتولين عن الحق يا أهل الكتاب لم تحاجون في شأن إبراهيم وتدّعي كل طائفة منكم أن إبراهيم كان على دينها مع أن اليهودية ما كانت إلا بعد نزول التوراة، والنصرانية ما كانت إلا بعد نزول الإنجيل، وإبراهيم كان قبل نزول الكتابين بمئات السنين، مالكم تقولون بما لايقبل ولا يعقل أفلا تعقلون؟ ثم وبخهم بما هم أهله قائلا لهم: اسمعوا يا هؤلاء أنتم جادلتم فيما لكم به علم فى شأن دينكم وكتابكم فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم في شأن إبراهيم وملته الحنيفية التي قامت على مَبْـدءِ التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، والله يعلم من شأن إبراهيم ودينه مالا تعلمون أنتم فليس من حقكم القول فيما لا تعلمونه. ثم أكْذبهم بعد أن وبخهم فقال ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً وإنما كان حنيفاً موّحداً مطيعاً لربه مسلمًا له ولم يكن من المشركين. وبعد أن وبخ تعالى المجادلين لرسوله وكذبهم في دعواهم أن إبراهيم على دينهم قرر حقيقة كبرى ينبغي أن يعلموها ويقرّوا بها وهي أن أحق[1] الناس بالنسبة الى إبراهيم والانتماء اليه هم الذين اتبعوه على ملة التوحيد وعبادة الله تعالى بما شرع وهذا النبي الكريم العظيم محمد ﷺ والذين آمنوا معه واتبعوا الهدى الذي جاء به، والله تعالى وليّ المؤمنين، وعدو الكافرين والمشركين.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ لا يَصْلُح حال البشرية ولا يستقيم أمرها إلا إذا أخذت بمبدأ: الكلمة السواء وهي أن تعبد ربها وحده لا تشرك به سواه، وأن لا يعلو بعضها على بعض تحت أيّ قانون أو شعار.

٢ـ حجيّة التـاريخ وبيان الحاجة إليه، إذ رد الله تعالى على أهل الكتاب في دعواهم أن إبراهيم كان على دينهم بأن التوراة والإنجيل لم ينزلا الا بعد وفاته فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً.

---

(١) روي أنّ ابن عباس قال: قال رؤساء اليهود والله يا محمد لقد علمت أنّا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك فإنّه كان يهودياً وما بك إلاّ الحسد فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ما كان إبراهيم يهودياً﴾ إلى قوله ﴿ والله ولي المؤمنين﴾.

٣ـ ذم من يجادل[1] فيما لا علم له به، ولا شأن له فيه.

٤ـ اليهودية كالنصرانية لم تكن دين الله تعالى، وإنما هما بدعتان لا غير.

٥ـ المؤمنون بعضهم أولياء بعض وإن تناءت ديارهم وتباعدت أقطارهم والله ولي المؤمنين.

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات:

ودت طائفة[2] : أحبَّت فرقةٌ وهم الأحبار والرؤساء فيهم.

لو يضلونكم[3] : أي تمنَّوا إيقاعكم في الضلال لتشقوا وتهلكوا مثلهم.

وما يشعرون : أي وما يدرُون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب.

لبس الحق بالباطل : خلطه به كأنما كسا الباطل ثوب الحق وكسا الحق ثوب الباطل حتى لا يُعرف فيؤخذ به، ويهتدى عليه.

معنى الآيات:

يخبر تعالى عباده المؤمنين أن فرقة من أهل الكتاب تمنّت لو توقعكم في الضلال لتهلكوا والغالب أن هذه الطائفة تكون في رؤسائهم من أحبار وقسس وإن كان أغلب اليهود

---

(١) قال القرطبي: نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر حين دعاهم يهود من بني النضير وقريضة وبني قينقاع إلى دينهم. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢) الإضلال: يكون بمعنى الهلاك كما هو هنا وعليه قول الشاعر:

كنت القذى في موج أكدر مزبدٍ   قذف الأتيُّ به فضلَّ ضلالا

أي هلك هلاكاً. والأتيُّ: السيل يأتي من حيث لا يعلم.

(٣) تقدّم أنهم من يهود المدينة وأنّ العبرة بعموم اللفظ لذا فإن هذا النوع ما زال إلى اليوم يود إضلال المسلمين.

والنصارى يودون إضلال المسلمين حسداً لهم على الحق الذي هم عليه، وأخبر تعالى أنهم بتمنيهم هلاك المسلمين إنما يهلكون أنفسهم وما يدرون ذلك ولا يعلمون به وقال عز وجل: ﴿وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون﴾

هذا معنى الآية (٦٩) أما الآية (٧٠) فقد نادى الرب تعالى أهل الكتاب ليوبخهم وينعي عليهم ضلالهم فقال: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون[١] بآيات الله﴾ أي لم تجحدون الآيات التي بها نعت الرسول وصفته لله في التوراة والإنجيل والحال أنكم تشهدون أنها صفات الرسول ونعوته وأنها منطبقة عليه؟ أليس هذا قبحاً منكم وشراً تعود عاقبته عليكم؟ وفي الآية (٧١) وبخهم أيضاً على خلطهم الحق بالباطل حتى لا يعرف ويؤخذ به ويهتدى عليه فقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب[٢] لم تلبسون الحق بالباطل﴾ وشنع عليهم بكتمانهم الحق الذي هو نبوة الرسول محمد ﷺ المبينّة في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم فقال: ﴿وتكتمون الحق وأنتم تشهدون﴾ أنه الحق من الله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان رغبة كثير من اليهود والنصارى في إضلال المسلمين وإهلاكهم.

٢- عاقبة الشر والفساد تعود على صاحبها في نهاية الأمر.

٣- قبح من يكتم الحق وهو يعرفه.

٤- حرمة التدليس والتلبيس في كل شيء لا سيما في دين الله تعالى لابعاد الناس عنه.

٥- حرمة كتمان الحق في الشهادة وغيرها.

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ

---

(١) الاستفهام انكاري والآيات هي المشتملة على صفات الرسول محمد ﷺ ونعوته ومن الآيات المعجزات التي تجلت على يد النبي محمد ﷺ.

(٢) إعادة النداء مرة ثانية ﴿يا أهل الكتاب﴾ لأجل توبيخهم وتسجيل باطلهم عليهم.

﴿ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

شرح الكلمات :

وجه النهار[1] وآخره	: أوله وهو الصباح وآخره وهو المساء .
ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم[2]	: أي لا تصدقوا إلا من كان على ملتكم .
الهدى هدى الله	: البيان الحق والتوفيق الكامل بيان الله وهداه لا ما يخلط اليهود ويلبسون تضليلاً للناس .
أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم	: أن يعطى أحد نبوة ودينا وفضلا .
أو يحاجوكم عند ربكم	: يخاصموكم يوم القيامة عند ربكم .
قل إن الفضل بيد الله	: قل إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله لا بيد غيره .
والله واسع عليم	: ذو سعة بفضله ، عليم بمن يستحق فضله فيمُن عليه .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن كيد اليهود ومكرهم بالمسلمين فيقول : ﴿وقالت[3] طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ وذلك أن كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف عليهما لعائن الله قالا لبعض إخوانهم صلوا مع المسلمين صلاة الصبح إلى الكعبة ، وصلوا العصر الى الصخرة بيت المقدس فإن قيل لكم لم عدلتم

---

(١) سمي أول النهار وجهاً : لأنه أحسنه وأوّل ما يواجه ومنه قال الشاعر:

وتضيء في وجه النهار منيرة   كجمانة البحرية سل نظامها

(٢) هذا نهي من يهود خيبر إلى إخوانهم من يهود المدينة .

(٣) عطف على ودّت طائفة فالطائفة الأولى ودّت إضلال المسلمين جَهراً وعلناً وهذه حاولته بالخداع والتضليل بأساليب المكر والاحتيال .

عن الكعبة بعدما صليتم إليها؟ قولوا لهم قد تبين لنا أن الحق هو استقبال الصخرة لا الكعبة. هذا معنى قوله تعالى فيهم ﴿وقالت طائفة[1] من أهل الكتاب آمنوا[2] بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ يعني في شأن القبلة، ﴿وجه النهار﴾ أي صباحاً، ﴿واكفروا آخره﴾ أي واجحدوا به مساءً، ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي إلى استقبال الصخرة بدلاً عن الكعبة، والغرض هو بلبلة أفكار المسلمين وإدخال الشك عليهم[3] وقوله تعالى عنهم: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ يريد أنهم قالوا لبعضهم بعضاً لا تصدقوا أحداً إلا من تبع دينكم من أهل ملتكم وهذا صرف من رؤسائهم لليهود عن الإسلام وقبوله، أي لا تصدقوا المسلمين فيما يقولون لكم، وهنا رد تعالى عليهم بقوله قل يا رسولنا إن الهدى هدى الله، لا ما يحتكره اليهود من الضلال ويزعمون أنه الحق والهدى وهو البدعة اليهودية وقوله تعالى: ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم﴾. هو قول اليهود معطوف على قولهم: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أما قوله تعالى ﴿قل إن الهدى. . .﴾ فهو كلام معترض بين كلام اليهود الذي قُدِّم تعجيلاً للردّ عليهم، ومعنى قولهم : ﴿أن يؤتى أحد. .﴾ الخ. أي كراهة أن يعترف من قبلكم بأن محمداً نبيّ حق وأن دينه حق فيتابعه اليهود والمشركون عليه فيسلمون، أو على الأقل يثبت المسلمون عليه، ونحن نريد زلزلتهم وتشكيكهم حتى يعودوا الى دين آبائهم، أو يحاجوكم عند ربكم يوم القيامة وتكون لهم الحجة عليكم إن أنتم اعترفتم لهم اليوم بأن نبيهم حق ودينهم حق، فلذا واصلوا الإصرار أنه لا دين حق إلا اليهودية وأن ما عداها باطل. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم مبكّتاً لهم: ﴿إن الفضل بيد الله﴾، لا بيد اليهود ﴿يؤتيه﴾ أي الفضل الذى هو النبوة والهدى والتوفيق وما يتبع ذلك من خير الدنيا والآخرة، ﴿من يشاء﴾ من عباده ويحرمه من يشاء، وهو الواسع الفضل العليم بمن يستأهله ويحق له ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

---

(١) الطائفة: الجماعة وسميت بها لأنها يسوى بها حلقة يطاف حولها.

(٢) ولا مانع أن يكون مراداً من الآية أنهم قالوا لسفلتهم أظهروا الإيمان بمحمد ودينه في أوّل النهار ثم اكفروا به آخره فإنكم إن فعلتم ذلك ارتاب من يتبعه في دينه فيرجع عن دينه إلى دينكم. إلاّ أنّ ما فسرنا به الآية أظهر.

(٣) وهذا لا يمنع أن يكون قولهم: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ اظهاراً منهم للدخول في الإسلام، والاعتراف به في أول النهار، مكراً وخديعة، فإذا ولى النهار أظهروا رجوعهم عنه ليظن من رآهم أنهم يريدون الحق ولذلك أسلموا، فلما تبين لهم بطلان الاسلام، وعدم صحته رجعوا عنه.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١- تسجيل المكر والخداع على اليهود وأنه صفة من صفاتهم اللازمة لهم إلى يوم القيامة .

٢- الكشف عن التعصب اليهـودي وأساليب التمويه والتضليل، والإعلام العالمي اليوم مظهر من مظاهر التضليل اليهودي .

٣- سذاجة اليهود المتناهية في فهم مسائل الدين والاعتقاد توارثوها الى اليوم ، وإلا فأي مؤمن بالله واليوم الآخـر يقـول: لا تعـترفوا للمسلمين بأنهم على حق حتى لا يحتجوا عليكم باعترافكم يوم القيامة؟ .

إن الله تعالى يعلم أن اليهود يجحدون الاسلام وهو الحق ويكفرون به وهو الحق من ربهم وسيعذبهم في نار جهنم يخلدون فيها، فكونهم لا يصرحون للمسلمين بأنهم على حق وهم يعلمون أنهم على الحق في دينهم ينجيهم هذا من عذاب الله على كفرهم بالإسلام؟ اللهم لا . فما معنى قولهم لا تعترفوا بالإسلام حتى لا يحتج عليكم المسلمون باعترافكم يوم القيامة؟؟ إنه الجهل والسذاجة في الفهم. وسبحان الله ماذا في الخلق من عجائب!!

۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

شـــرح الكلمـات :

إن تأمنـه : ائتمنه على كذا وضعه عنده أمانة وأمنه عليه فلم يخفه.

قنطـار : وزن معروف والمراد هنا أنه من ذهب بدليل الدينار.

إلا مادمت عليه قائمًا : أي ملازماً له تطالبه[1] به ليل نهار.

الأمّيين : العـرب المشـركين.

ســبيل : أي لا يؤاخذنا الله إن نحن أكلنا أموالهم لأنهم مشركون.

بــلى : أي ليس الأمر كما يقول يهود من أنه ليس عليهم حرج ولا إثم في أكل أموال العرب المشركين بل عليهم الإثم والمؤاخذة[2].

لا خلاق لهم : أي لاحظ ولا نصيب لهم في خيرات الآخرة ونعيم الجنان.

لا يزكيـهم : لا يطهرهم من ذنوبهم ولا يكفرها عنهم.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكـريم في هتك أستار أهل الكتاب وبيان نفسيّاتهم المريضة وصفاتهم الذميمة ففي هذه الآية (٧٥) يخبر تعالى أن فى اليهود من إن أمنته على أكبرمال أداه إليك وافياً كاملاً، ومنهم من إذا أمنته على دينار فأقل خانك فيه وأنكره عليك فلا يؤديه إليك إلا بمقاضاتك له وملازمتك إياه.. فقال تعالى في خطاب رسوله: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده[3] إليك إلا ما دمت عليه قائمًا﴾ ويعلل الرب تعالى سلوكهم هذا بأنهم يقولون ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي لا حرج علينا ولا إثم في أكل أموال العرب لأنهم مشركون فلا نؤاخذ بأكل أموالهم وكذّبهم الله تعالى في هذه الدعوة الباطلة فقال تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أي أنه كذب على الله ولكن يكذبون ليسوّغوا كذبهم وخيانتهم.

وفي الآية الثانية (٧٦) يقول تعالى: ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما يدعون بل عليهم الإثم

---

(١) استدل أبو حنيفة بقوله تعالى: ﴿إلّا ما دمت عليه قائما﴾ على جواز ملازمة الغريم، ولَمْ يرضَهُ العلماء واستدل بعض العلماء على حبس المدين بهذه الآية.

(٢) قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمّة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا في ذلك بأس فقال له: هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لا تحل لكم أموالهم إلّا عن طيب أنفسهم.

(٣) ما دام في أهل الكتاب الأمين والخائن والتمييز بينهم متعذر إذاً تعيّن اجتنابهم جميعاً.

والحرج والمؤاخذة، وإنما لا إثم ولا حرج ولا مؤاخذة على من أوفى بعهد الله تعالى فآمن برسوله وبما جاء به، واتقى الشرك والمعاصي فهذا الذي يحبه الله فلا يعذبه لأنه عز وجل يحب المتقين. وأما الآية الأخيرة (٧٧) فيتوعد الرب تعالى بأشد أنواع العقوبات أولئك الذين يعاهدون ويخونون ويحلفون ويكذبون من أجل حطام الدنيا ومتاعها القليل فيقول ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم[1] ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي لا حظ ولا نصيب لهم في نعيم الدار الآخرة ولا يكلمهم تشريفاً لهم وإكراماً، ولا يزكيهم بالثناء عليهم ولا بتطهيرهم من ذنوبهم، ولهم عذاب مؤلم في دار الشقاء وهو عذاب دائم مقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ يجب أن لا يُغْتَرّ باليهود ولا يوثق فيهم لما عرفوا به من الخيانة.

٢ـ من كذب على الله أحرى به أن يكذب على الناس.

٣ـ بيان اعتقاد اليهود في أن البشرية غير اليهود نجس وأن أموالهم وأعراضهم مباحة لليهود حلال لهم؛ لأنهم المؤمنون في نظرهم وغيرهم الكفار.

٤ـ عظم ذنب من يخون عهده من أجل المال، وكذا من يحلف كاذباً لأجل المال قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجر لقي[2] الله وهو عليه غضبان».

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

وإن منهم لفريقاً : طائفة من اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالمدينة النبوية.

---

(١) أخرج أهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع حق امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان».

(٢) رواه أحمد وله شواهد في الصحاح، وروى الأئمة عنه ﷺ قوله: «مَنْ اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنّة فقال له رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك».

يلوون[1] ألسنتهم : يحرفون ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرأون الكتاب.

وما هو من الكتاب : وليس هو من الكتـاب.

ويقولون على الله الكذب : أي يكذبون على الله لأغراض ماديّة.

معنـى الآيـة :

ما زال السياق في اليهود وبيان فضائحهم فأخبر تعالى أن طائفة منهم يلوون ألسنتهم بمعنى يحرفون نطقهم بالكلام تمويهاً على السامعين كأنهم يقرأون التوراة وما أنزل الله فيها، وليس هو من الكتاب المنزل في شيء بل هو الكذب البَحْت، ويقولون لكم إنه من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب لأجل الحفاظ على الحطام الخسيس والرئاسة الكاذبة.

هدايـة الآيـة

من هدايـة الآيـة :

١ـ بيان مكر اليهود وتضليلهم للناس وخداعهم لهم باسم الدين والعلم.

٢ـ جرأة اليهود على الكذب على الناس وعلى الله مع علمهم بأنهم يكذبون وهو قبح أشدّ وظلم أعظم.

٣ـ التحذير للمسلم من سلوك اليهود في التضليل والقول على الله والرسول لأجل الأغراض الدنيويّة الفاسدة.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

---

(١) قرىء: يلوّون على التكثير، والمعنى يحرفون الكلم عن القصد، وأصل اللّي الميل، يقال لوى رأسه إذا أماله ومنه قوله تعالى: ﴿ليًّا بألسنتهم﴾ أي ميلا عن الحق، واللّي: المطل أيضاً لحديث: «ليّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» في الصحيح.

شـرح الكلمـات :

ما كان لبشر[1] : لم يكن من شأن الإنسان[2] الذى يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة .

الكتاب والحكم والنبوة : الكتاب : وحي الله المكتوب والحكم : بمعنى الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع ، والنّبوة : ما يشرّف الله تعالى به عبده من إنبائه بالغيب وتكليمه بالوحي .

ربانيين[3] : جمع ربّانى : من ينسب إلى الربّ لكثرة عبادته وغزارة علمه ، أو إلى الربان وهو الذي يربّ الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها .

أربـابـاً : جمع ربّ بمعنى السيد المعبود .

أيأمركم بالكفر : الإستفهام للإنكار، والكفر هنا الردة عن الإسلام .

معنى الآيتين :

ما زال السياق فى الرد على أهل الكتاب وفي هذه الآية (٧٩) الرد على وفد نصارى نجران خاصة وهم الذين يؤلهون المسيح عليه السلام . قال تعالى : ليس من شأن أي إنسان يعطيه الله الكتاب أي ينزل عليه كتاباً ويعطيه الحكم فيه وهو الفهم والفقه في أسراره ويشرفه بالنبوة فيوحى اليه ، ويجعله فى زمرة أنبيائه ، ثم هو[4] يدعو الناس الى عبادة نفسه فيقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله . إن هذا ما كان ولن يكون أبداً . ولا مما هو متصور الوقوع أيضا فما لكم أنتم يا معشر النصارى تعتقدون هذا في المسيح عليه السلام؟ إن مَنْ أوتى مثل هذا الكمـال لا يقـول للنـاس كونـوا عباداً لى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين تصلحون الناس وتهـدونهم الى ربهم ليكملوا بطاعتـه ويسعدوا عليها ، وذلك بتعليمهم الكتاب وتدريسه ودراسته .

هذا معنى الآية (٧٩) أما الآية (٨٠) فإن الله تعالى يخبر عن رسوله محمد ﷺ أنه لا يأمر الناس بعبادة غير ربّه تعالى سواء كان ذلك الغير ملكاً مكرماً أو نبيّاً مرسلا ، وينكر على من

---

(١) لفظ البشر: يطلق على الواحد والجمع لأنه كالمصدر والمراد به هنا عيسى عليه السلام .

(٢) أي لا يجتمع لنبي إتيان النبوة مع قوله كونوا عباداً لي من دون الله ، وإنّما الذي يجتمع له مع إتيان النبوة هو قوله : ﴿كونوا ربّانيين﴾ الخ .

(٣) الربّاني والجمع ربّانيين مشتق من ربّه يربُه فهو ربان له إذا دبره وأصلحه .

(٤) قالت اليهود يوما لرسول الله ﷺ : أتريد أن نتخذك يا محمد ربّاً؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ الآية .

نسبوا ذلك إليه ﷺ فيقول: ﴿أيأمركم[1] بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ فهذا لا يصح منه ولا يصدر عنه بحال.

هدايـة الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ لم يكن من الممكن لمن آتاه الله الكتاب والحكمة وشرفه بالنبوة أن يدعو الناس لعبادة نفسه فضلاً عن عبادة غيره.

٢ـ سادات الناس هم الربانيون الذين يربون الناس بالعلم والحكمة فيصلحونهم ويهدونهم.

٣ـ عظماء الناس[2] من يعلمون الناس الخير ويهدونهم إليه.

٤ـ السجود لغير الله تعالى كفر لما ورد أن الآية نزلت رداً على من أرادوا أن يسجدوا لرسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾؟!

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

شـرح الكلمـات:

الميثـاق : العهد المؤكد باليمين.

---

(١) الاستفهام انكاري وفيه معنى التعجب، إذ ليس من شأن النبي ﷺ أن يتخذ الناس عباداً يتأله لهم، ومن هنا قال ﷺ: «لا يقولون احدُكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي، ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيّدي».

(٢) روى ابن عبد البر عن علي رض الله عنه قوله: من علم وعمل وعلّم دُعي في ملكوت السموات عظيماً، وهو مروي عن عيسى عليه السلام.

لما آتيتكم[1][2] : مهما آتيتكم.

لتؤمنُنّ[3] : لتصدقن برسالته.

أأقررتم : الهمزة الأولى للاستفهام التقريري وأقررتم بمعنى اعترفتم.

إصري : عهدي وميثاقي.

فمن تولى : رجع عما اعترف به وأقرّ.

الفاسقون : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.

أفغير دين الله يبغون : الاستفهام للإنكار، ويبغون بمعنى يطلبون.

وله أسلم : انقاد وخضع لمجاري أقدار الله وأحكامه عليه.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الرد على نصارى نجران فيقول تعالى لرسوله أذكر لهم ما أخذ الله على النّبيين وأممهم من ميثاق أنه مهما آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءهم رسول مصدق لما معهم من النور والهدى ليؤمننّ به ولينصرنه على أعدائه ومناوئيه من أهل الكفر وأنه تعالى قررهم فأقروا واعترفوا ثم استشهدهم على ذلك فشهدوا وشهد تعالى فقال: ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ ثم أكد تعالى ذلك مرة أخرى بأن من يعرض عن هذا الميثاق ولم يف به يعتبر فاسقاً ويلقى جزاء الفاسقين فقال تعالى: ﴿فمن تولى[4] بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

وقد نقض هذا الميثاق كلٌ من اليهود والنصارى، إذ لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبما جاء به وقد أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به، وبنصره، فكفروا به، وخذلوه، فكانوا بذلك الفاسقين المستوجبين لعذاب الله.

---

(١) قرأ نافع ﴿لما آتيناكم﴾ بنون العظمة وقرأ حفص ﴿لما آتيتكم﴾ بتاء المتكلم، وصيغة الميثاق هي ﴿لما آتيتكم﴾ إلى قوله ﴿ولتنصرنه﴾.

(٢) قرأ أهل الكوفة ﴿لما آتيتكم﴾ بكسر لام لِما أي: لأجل ما آتيتكم من كتاب الخ، وتكون ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي أي للذي آتيتكم. الخ.

(٣) روى ابن كثير عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلّا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصُرُنّه، وهذا غير مناف لما قال قتادة وغيره أنّ الله أخذ من النبيين ميثاقهم أن يصدِّق بعضهم بعضاً.

(٤) التولي والفسق مستحيل في حق أنبياء الله ورسله، ولذا فالمأخوذ عليهم العهد والميثاق هم أتباع الأنبياء والرسل، وإنما قال ميثاق النبيين لأنهم هم المبلغون أممهم بما أخذ عليهم ويوضح هذا قوله ﴿فاشهدوا﴾ أي على أممكم.

ثم وبخ تعالى أهل الكتاب قائلا: ﴿أفغير دين الله[1] - يريد الاسلام - يبغون﴾ أي يطلبون، ولله أسلم أي انقاد وخضع من في السموات من الملائكة والأرض من سائر المخلوقات الأرضية طوعاً أو كرها[2]: طائعين أو مكرهين وفوق هذا أنكم ترجعون إليه فيحاسبكم، ويجزيكم بأعمالكم.

هذا ما تضمنته الآية الأخيرة (٨٣) إذ قال تعالى ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة الله تعالى في الأنبياء السابقين وهي أن يؤمن بعضهم ببعض وينصر بعضهم بعضاً.

٢- كفر أهل الكتاب وفسقهم بنقضهم الميثاق وتوليهم عن الإسلام وإعراضهم عنه بعد كفرهم بالنبيّ محمد ﷺ وقد أخذ عليهم الميثاق بأن يؤمنوا به ويتبعوه.

٣- بيان عظم شأن العهود والمواثيق عند الله تعالى.

٤- الإنكار على مَنْ يُعْرِض عن دين الله الإسلام. مع أن الكون كلّه خاضع منقاد لأمر الله ومجاري أقداره مسلم له.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

---

(١) الاستفهام للتقريع والتوبيخ، روي عن الكلبي أنّ كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ فقالوا أيّنا أحق بدين إبراهيم؟ فقال ﷺ كلا الفريقين بريء من دينه فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزل قوله تعالى ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ الآية.

(٢) طوعا وكرها: مصدران في موضع الحال أي طائعين ومكرهين، إذ كل مخلوق منقاد مستسلم لما جبله الله عليه وقضاه وقدره له لا يخرج عنه بحال.

شرح الكلمات :

الأسباط : جمع سِبْط والسِّبط الحفيد، والمراد بالأسباط هنا أولاد يعقوب الاثنا عشر والأسباط في اليهود كالقبائل في العرب.

يبْتغ : يطلب ويريد ديناً غير الدين الإسلامي.

الخاسرين : الهالكين بالخلد في نار جهنم والذين خسروا كل شيء حتى أنفسهم.

معنى الآيتين :

مازال السياق في حجاج أهل الكتاب فبعد أن وبخهم تعالى بقوله في الآيات السابقة أفغير دين الله تبتغون يا معشر اليهود والنصارى؟ فإن قالوا: نعم فقل أنت[1] يا رسولنا آمنا بالله وما أنزل علينا من وحيٍ وشرع وآمنا بما أنزل على إبراهيم خليل الرحمن وما أنزل على ولديه اسماعيل واسحق،وما أنزل على يعقوب واولاده الاسباط، وآمنا بما أوتي موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل، وما أوتى النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد من أنبيائه بل نؤمن بهم وبما جاءوا به فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما هي حالكم يا معشر اليهود والنصارى. ونحن لله تعالى مسلمون أي منقادون مطيعون لا نعبده بغير ما شرع ولا نعبد معه سواه. هذا معنى الآية الأولى (٨٤).أما الآية الثانية (٨٥) فإن الله تعالى يقرر أن كل دين غير الاسلام باطل، وان من يطلب ديناً غير الاسلام لن يقبل منه بحال ويخسر في الآخرة خسراناً كبيراً فقال تعالى: ﴿ومن[2] يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هو الخسران المبين.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- لا يصح إيمان عبد يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض، كما لا يصح ايمان عبد يؤمن ببعض ما أنزل الله تعالى على رسله ويكفر ببعض.

---

(١) في الآية تعليم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين عقيدة الإيمان الصحيحة التي أحبها الله لهم ليكملوا بها ويسعدوا عليها بإذن الله تعالى.

(٢) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير وتجيء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول إنك على خير.

ثم يجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول إنك على خير ثم تجيء الأعمال كل ذلك ويقول الله تعالى إنك على خير ثم يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير اليوم بك آخذ وبك اعطي، قال الله تعالى في كتابه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين﴾ تفرّد به أحمد.

٢ـ الإسلام : هو الإنقياد والخضوع لله تعالى وهو يتنافى مع التخيير بين رسل الله ووحيه اليهم .

٣ـ بطلان سائر الأديان والملل سوى الدين الإسلامى وملة محمد ﷺ

كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

كيف يهدى الله قوما : الاستفهام هنا للاستبعاد[1]، والهداية الخروج من الضلال .

البينات : الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبيّنة للحق فى المعتقد والعمل .

الظالمين : المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتى أصبح الظلم وصفاً لازماً لهم .

لعنة الله : طرد الله لهم من كل خير، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم عليهم بذلك .

ولا هم ينظرون : ولا هم يمهلون من أنْظَره إذا أمهله ولم يعجّل بعذابه .

أصلحوا : أصلحوا ما أفسدوه من أنفسهم ومن غيرهم .

(١) الاستفهام للنفي والاستبعاد إذ هو بمعنى لا يهدي الله قوماً .. الخ ومنه قول الشاعر:
كيف نومي على الفراش ولما يشمل القوم غارة شعواء

معنى الآيـات :

مازال السياق في أهـل الكتـاب[1] وإن تناولت غيرهم ممن ارتد عن الإسلام من بعض الأنصار ثم عاد إلى الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ففي كل هؤلاء يقول تعالى: ﴿كيف يهدى الله قومـاً كفـروا بعـد إيمانهم﴾ فقد كفر اليهود بعيسى عليه السلام، وشهدوا أن الرسول محمداً حق وجاءتهم الحجج والبراهين على صدق نبوته وصحة ما جاء به من الدين الحق، والله حسب سنته في خلقه لا يهدي من أسرف في الظلم وتجاوز الحد فيه فأصبح الـظلم طبعاً من طباعه فلهذا كانت هداية من هذه حاله مستبعدة للغاية، وإن لم تكن مستحيلة ثم أخبر تعـالى عنهم متوعداً لهم فقال: ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ ﴿خالدين فيها﴾ أي في تلك اللعنة الموجبة لهم عذاب النار ﴿لا يخفف عنهم العـذاب ولا هم ينـظرون﴾ أي ولا يمهلون ليعتـذروا، أولا يخفف عنهم العذاب. ثم لما لم تكن توبتهم مستحيلة ولأن الله تعالى يحب توبة عباده ويقبلها منهم قال تعـالى فاتحاً باب رحمته لعباده مهما كانت ذنوبهم ﴿إلا الذين تابوا[2] من بعد ذلك﴾ الكفر والظلم، ﴿وأصلحوا﴾ نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فكان هذا كالوعد منه سبحانه وتعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم بدخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ التوغل في الشر والفساد أو الظلم والكفر قد يمنع[3] العبد من التوبة. ولذا وجب على العبد إذا أذنب ذنباً أن يتوب منه فوراً، ولا يواصله مصراً عليه خشية ان يحال بينه وبين التوبة.

٢ـ التوبة مقبولة متى قامت على أسسها واستوفت شروطها ومن ذلك الإقلاع عن الذنب فوراً، والندم على ارتكابه، والاستغفار والعزم على عدم العودة إلى الذنب الذي تاب منه، وإصلاح ما أفسده مما يمكن إصلاحه.

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ الآية نزلت في رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثمّ راسل قومه: ليسألوا له رسول الله ﷺ هل له توبة فجاء قومه وسألوا له فأنزل الله هذه الآية ﴿كيف يهدي الله قوما﴾ إلى ﴿غفور رحيم﴾ والآية تتناول اليهود من باب أولى وتنطبق عليهم تماماً فتشمل من تاب منهم ومن لم يتب على حدٍّ سواء.

(٢) روى ابن كثير والقرطبي أن الحارث بن سويد أخا الجلاس بن سويد الأنصاري قد ارتد بعد اسلامه مع اثني عشر رجلا والتحقوا بمكة ثم تاب الحارث فأسلم وحسن إسلامه.

(٣) أورد هنا القرطبي سؤالاً وهو: أن ظاهر الآية ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ دال على أنّ من كفر بعد اسلامه لا يهده الله وكثيراً من الظالمين تابوا من الظلم؟ وأجاب بقوله إنّ معنى لا يهديهم ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الإسلام فأمّا إن أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك والله أعلم. هـ كلامه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

شـرح الكلمات :

الكـفر : الجحود لله تعالى والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع.

بعد إيمانهم : اي ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر.

الضالــون : المخطئـون طريق الهدى.

ملء الأرض : ما يملأها من الذهب.

ولو افتدى به : ولو قدمه فداء لنفسه من النار ما قبل منه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب وهو هنا في اليهود خاصة إذ أخبر تعالى عنهم[1] أنهم كفروا بعد إيمانهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة. ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن فلن تقبل توبتهم إلا إذا تابوا بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن لكنهم مصرون على الكفر بهما فكيف تقبل توبتهم إذاً مع اصرارهم على الكفر، ولذا أخبر تعالى أنهم هم الضالون البالغون أبعد الحدود في الضلال ومن كانت هذه حاله فلا يتوب ولا تقبل توبته، ثم قرر مصيرهم بقوله عز وجل: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾ يريد يوم القيامة مع أنه لا مال يومئذ ولكن من باب الفرض والتقدير لا غير. فلو أن لأحـدهم ملء الأرض ذهباً وقبل منه فداء لنفسه من عذاب الله لافتدى، ولكن

---

(١) أورد القرطبي إشكالاً عن قوله تعالى: ﴿لن تقبل توبتهم﴾ مع العلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر كما صح في الخبر وكيف وهو القائل: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ وذكر ثلاثة أجوبة الأوّل: أنه لا يقبل توبتهم عند الموت كما هو نصّ الآية ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن. . .﴾. الثاني: أنها لا تقبل توبتهم التي كانت قبل كفرهم إن الكفر محبط للعمل. والثالث: أنها لا تقبل وهم مصرون على الكفر. قلت وهذا أمثلها وهو ما ذكرته في تفسير الآية. والله أعلم.

هيهات هيهات[1] إنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولكن من جاء ربّه بقلب سليم من الشرك والشك وسائر أمراض القلوب نجا من النار ودخل الجنة بإذن الله تعالى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- سنة الله فيمن توغل في الكفر أو الظلم أو الفسق وبلغ حداً بعيداً أنه لا يتوب.

٢- اليأس من نجاة من مات كافراً يوم القيامة.

٣- لا فدية تقبل يوم القيامة من أحد ولا فداء لأحد فيه.

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات:

لن تنالوا : لن تحصلوا عليه وتظفروا به.

البرّ : كلمة جامعة لكل خير، والمراد به هنا ثوابه وهو الجنة.

تنفقوا : تتصدقوا.

مما تحبون : من المال الذي تحبونه لأنفسكم وهو أفضل أموالكم عندكم.

من شيء : يريد قلّ أو كثر.

فإن الله به عليم : لازمه أنه يجزيكم به بحسب كثرته أو قلته.

معنى الآية الكريمة:

يخبر تعالى عباده المؤمنين الراغبين في برّه[2] تعالى وإفضاله بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة بأنهم لن يظفروا بمطلوبهم من برّ ربهم حتى ينفقوا من أطيب أموالهم وأنفسها عندهم وأحبّها إليهم. ثم أخبرهم مطمئناً لهم على إنفاقهم أفضل أموالهم بأن ما ينفقونه من قليل

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقال له كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك فلم تفعل».

(٢) يطلق لفظ البرّ على العمل الصالح أو هو جماعهُ وثوابه وفي الصحيح يقول الرسول ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

أو كثير نفيس أو خسيس هو به عليم وسيجزيهم به، وبهذا حبّب إليهم الإنفاق ورغبهم فيه فجاء أبوطلحة رضى الله عنه يقول يا رسول الله ان الله تعالى يقول: ﴿لن[1] تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، وإن من أحب أموالي إليّ بيرحا (حديقة) فاجعلها حيث أراك الله يا رسول الله، فقال له ﷺ مال رابح أو رائج اجعلها في أقربائك فجعلها في أقربائه حسان بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين.

هداية الآيـة

من هداية الآية :

١ـ البر وهو فعل الخير يهدي إلى الجنّة .

٢ـ لن يبلغ العبد برّ الله وما عنده من نعيم الآخرة حتى ينفق من أحب أمواله اليه .

٣ـ لا يضيع المعروف عند الله تعالى قل أو كثر طالما أريد به وجهه تعالى .

---

(١) لما نزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ بادر الأصحاب رضوان الله عليهم بالتصدق بأحب أموالهم إليها فأعتق عمر جارية له من أحب الجواري إليه، وأعتق ولده مولاه نافعا وتصدق زيد بن حارثة بفرس له كانت أحب ما يملك وتصدق أبو طلحة ببستانه (بيرحا) فدل هذا على فقه الصحابة ومدى استجابتهم لما هو خير عند الله وأعظم أجراً فرضي الله عنهم وأرضاهم ولا حرمنا حبّهم وجوارهم.